19me, année No 943

Le Caire 30 — 7 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة عشرة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٧٠ — ٣٠ يوليه سنة ١٩٥١ » العدد ٩٤٣

هل الأدب قد مات ؟

الدولة تخنق الأدب !

— ٣ —

للأستاذ سيد قطب

قبل أن تولد تلك المخلوقة المزيلة المفككة المساة : جامعة الدول العربية . . كانت هنالك جامعة ضخمة قوية راسخة للأمة العربية خلقتها الأقلام : أقلام الأدباء والشعراء والكتاب والمفكرين والعلماء

. . كانت هنالك صلة وثيقة بين كل قلب وقلب وكل روح وروح وكل فكر وفكر فى شتى أقطار العربية ، يحملها الكتاب ، وتحملها الصحيفة ، وتحملها الجريدة ؛ ويلتقى عليها المثقفون والقراء فى شتى هذه الأقطار

وظلت جامعة الدول العربية تتسكع وتتلكع ، وظلت تجتمع لتنفض ، وتنفض لتجتمع ؛ والأمة العربية تسمع جعجعة ولا ترى طحناً ؛ وترى المؤتمرات والموائد ولا تجد وراءها عملا ، بينما جامعة الفكر والقلم تؤدى دورها ، وتقوم بواجبها ، وتنشر الوعى العربى والإسلامى فى أقطار العرب جميعها . .

ولكن الدولة فى مصر يجب أن يكون لها عمل . وما يكون عملها إذا هى لم تخنق الفكر ، وتضع فى يديه ورجليه الأغلال ، وتفصم هذه العرى المقدسة التى كونتها الأجيال

ما عملها إذا لم يكن هو تقييد تصدير الكتب من مصر إلى البلاد العربية — ومصر هى التى تقوم فى الطور الحاضر بدور القيادة — والبلاد العربية هى السوق الأولى لما تنشره مصر من كتب ومن أفكار وتوجيهات ؟

لقد فعلتها على عين جامعة الدول العربية وسمعها ! فعلتها بمعرفة وزارة المالية التى أصدرت قراراً يمنع تصدير الكتب من مصر . فلما نبهناها إلى الخطر الكامن فى هذا الإجراء « الروتينى » الذى اتخذته بجرة قلم ، وهو أخطر مايصيب الروابط العربية بقاصمة الظهر ! . . لما أن نبهناها إلى هذا عادت فقالت : إلا بترخيص خاص يتفق عليه مع المسؤولين !

وفى ذات الوقت رفعت رسوم البريد على تصدير الكتب من أربعة قروش للكيلو إلى اثنى عشر قرشاً . ثلاثة أضعاف كاملة فوق عقبات التصدير

فما معنى هذا الإجراء وذاك فى عالم التصدير ؟

معنى تقييد تصدير الكتب إلا بترخيص خاص لكل صفقة . . معناه العملى الصريح الذى يجب أن نكشفه للدولة الغافلة . . هو إفساح المجال للمساومة والارتزاق بين المصدرين وبين

المسؤولين ! فهل هذا ما قصدته الدولة تيسيراً على موظفيها المختصين ؟ !

ومعناه كذلك أن نوعا من الكتب يمكن أن يتعرض للضغط والمطاردة والقتل ... هو الكتب الإسلامية على وجه خاص . ولا أحب بعد هذه الإشارة العارضة أن أزيد !

ومعنى رفع رسوم التصدير هو خلق العقبات فى طريق الفكر لأن هذه الرسوم سترفع ثمن الكتاب إلى حد غير معقول وتمنع الإقبال عليه فى البلاد العربية ، فيختنق الفكر فى مورده ومصدره على السواء . وتتعرض الروابط الفكرية بين الأمة العربية للتفكك والانحلال . . وكل ذلك على مرأى من جامعة الدول العربية ومسمع ، كما أسلفت الحديث !

* * *

إن الدولة لا تتخذ هذا الإجراء مع الصحف ؛ إنما تتخذه مع الكتاب وحده . فلماذا ؟

إن الصحف المصرية — إلا النادر القليل — مؤسسات دولية لا مصرية ولا عربية ! مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والأمريكية والفرنسية ، والمصرية والعربية أخيرا ! مؤسسات تحرر صفحات كاملة منها بمعرفة أقلام المخابرات هذه لترويج دعايتها فى أوساط الجماهير . مؤسسات تخدم الرأسمالية العالمية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية . وتخدم الاستعمار الخارجى والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة

وهذا هو السر فى أن الدولة لا تفرض عليها القيود التى تفرضها على الكتب . لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية ، وهى كفيلة بأن تسندها ، وتذلل لها العقبات وتفسح لها الطريق لنشر دعايتها المستورة فى أطراف البلاد العربية جميعاً . فإذا كان من بينها صحف قليلة من صحافة الرأى والكفاح الفقيرة التى لا تستند إلى هذه القوى الدولية والمحلية . . فهى تنتفع بتسهيلات التصدير ضمنا وعن غير قصد ؛ لأنه لا يمكن استثناؤها . وحسبها وسائل المضايقة الأخرى وهى كثير !

أما الكتب فقلما تخدم هذه الأغراض التى تخدمها الصحافة ، ومن ثم فالدولة تطاردها على هذا النحو . وكلما كانت موضوعاتها غير مرغوب فيها لسبب من الأسباب ، فهناك أداة المضايقة حاضرة فى الحصول على ترخيصات مفردة يتفق بشأنها مع المسؤولين ! وهذه هى حكمة مراجعة أولئك المسؤولين !

* * *

ومرة أخرى نتجه إلى تلك المخلوقة الهزيلة المفككة المسماة : جامعة الدول العربية لنسألها : فيم وجودها إذن إذا كانت لا تلتفت إلى هذا الخطر الكامن وراء قيود تصدير الكتب ورفع تكاليف التصدير ؟

فيم وجودها إذا كانت لا تدرك أن أساس وجودها وقيامها كلها مهددة بالانهيار ، حين تنتهى تلك القيود إلى تقطيع أواصر الفكر والروح بين هذا العالم المترامى الأطراف ، المقفل الحدود ، الذى لا تجمعه رابطة أقوى من روابط الفكر والروح !

لقد كان الاستعمار وما يزال حريصا على تقطيع هذه الأواصر . وهذه هى فرنسا فى الشمال الإفريقى كله ، تعد الكتب المصرية بين المحرمات الممنوعة ، لأنها تعرف أنها رابطة قوية خطرة على الستار الحديدى الذى تريد أن تضربه بين عرب الغرب وعرب الشرق ، وثغرا فى تلك الأسلاك الشائكة التى تقيمها على الحدود !

فهل هذا ما تريده الدولة فى مصر ، وما تريده تلك المؤسسة الهزيلة المفككة ؟ أم كيف تسير الأمور ؟

إن حجة توفير الورق للتموين فى مصر حجة لا تنهض فى هذا المجال ؛ وإلا انهضت فى مجال الصحافة كذلك . فالصحف هى التى تستغرق الجانب الضخم من كيات الورق وليست الكتب المحدودة الأعداد والمقادير

فإذا كانت أقلام المخابرات الخارجية والداخلية ومصالح المؤسسات الرأسمالية وما إليها تشفع للصحف الضخمة . . أفلا يشفع للكتاب أنه الرابطة الأساسية من روابط الفكر والروح بين الجميع ؟

إن القراء فى البلاد العربية هم القراء الحقيقيون للكتاب المصرى الجاد . فشبابنا فى مصر مشغولون بصحافة الأفخاذ والنهود ، وبأفلام السينما الداعرة ، وبأغانى المغنين المترهلين ...

هندوكي سفيه

للأستاذ علي محمد سرطاوي

نشرت مجلة (رسالة الباكستان) التي تصدر في القاهرة في عددها المرقم ٣٧٠ والمؤرخ في اليوم الأول من يونية عام ١٩٥١ ما يأتي :

كاتب هندي يطعن في النبي محمد :

وضع الأستاذ سريفاستوا المدرس بجامعة أكرا كتابا في التاريخ حاول فيه الطعن بنبي المسلمين الأكرم سيدنا محمد ، والكتاب مقرر في مدارس الهند

ومما جاء في هذا الكتاب عن الرسول : « أن محمدا لم يكن عظيما كما يرا جراسيتار (هندوسي) وهو لم يكن يؤمن بالسلام ولا بعدم العنف، ولذلك كانت مسؤولية إراقة دماء كثيرة في العالم تقع على عاتقه . وقد تزوج في أواخر حياته ، وكان متهجرفا ، مخدوعا ، جشعا ، كما كان عاطفيا يتوق إلى إرضاء شهواته ، وخائنا »

والكتاب بما فيه من ملاحظات قذرة ، وطعن في رسول الله الذي لم تر الإنسانية مثله جماء ، مقرر على الأولاد المسلمين الذين دوخ آباؤهم منذ قرون البلاد وهزوا الإمبراطوريات في سبيل الدعوة إلى الإسلام والسلام . ويتساءل المسلمون اليوم : هل ترضى الدولة الدنيوية التي قام فيها هذا الكاتب بأن يطعن شخص في دين مجموعة كمجموعة المسلمين ؟)

ه ه ه

يطيب للكلاب ، لسبب مجهول ، أن تنبح البدر المنير في كبد السماء ، وهو يغمر بنوره الفضي جوانب الأرض ، ويشيع في أعماق الأنفس حب الحياة ، وجمال الوجود . ولكم شاهدتها العيون ، من أزمان موغلة في القدم ، مقعية على أذنابها . ومتجهة إلى السماء بوجوهها في مثل هذا الوقت من الأشهر القمرية ، تعكر صفو السكون العميق الذي يضفيه نور البدر على الغبراء وهو يفصل ظلام الأرض وما عليها من رجس ، بتيار قوي من الرحمة الإلهية تنبعث من نوره إلى آفاق الأرض وآفاق السماء .

ولكن البدرُ المنير لا يحس وجود هذه الكلاب ، وإنما يستمر في أفقه البعيد وفي عليائه ، متهاديا بين النجوم التي تحف به ، يثير الحب في القلوب ، والخيال الجميل الجنح في الشعر ، والأفراح في جنبات الأرض وأرجاء السماء

ولقد مرت قرون طويلة أوشكت أن تبلغ الأربعة عشر من عمر الدنيا على الرسالة الإسلامية السماوية التي أنزلها الله على محمد لتكون لحياة الإنسانية جماء ، في مشارق الأرض ومغاربها ، كالنواميس الطبيعية الثابتة الخالدة ، التي لا يأتيها الباطل ، ولا يلم بها التبديل ، صالحة لكل زمان ومكان ، ولكل ما خلقه الله على صور الإنسان . وهكذا كانت ، فحملت في جوانحها كل

إنه لا وقت لديهم لقراءة الكتب . فجراح القلوب . والقلوب التي في البريد . والكتب الشهرية التافهة على أكثر تقدير ، هي زادهم اليومي الذي عودتهم عليه الأقلام المترهلة والكتاب الداعرون ...

وإنه لابد للكتاب الجيد أن يجتاز الحدود المصرية ليؤدي رسالته للأمة العربية ؛ ثم ليعيش

وما لم يكن هدف الدولة في مصر هو خنق الفكر . فإن كل قيود التصدير يجب أن تلغى ، وخزانة الدولة يجب أن تبحث لها عن مصدر آخر غير الزيادة في أجور شحن الكتب بالبريد

ه ه ه

ومرة أخرى لابد أن نتوجه إلى وزير المعارف المصري الأديب

إنه طه حسين . طه حسين الذي يعرفه الناس أديبا قبل أن يعرفوه باشا أو وزيرا . . فأين هو والدولة تخنق الأدب خنقا بيد من حديد ؟

إنه في فرنسا !

نرجو له سلامة العودة . ونرجو منه تحطيم هذه القيود

سيد قطب

ما تزخر به الطبيعة من نور ، وجمال ، وعطر ، وربيع ، وثمر ، وورود ، ورياحين ، ولم تستطع الحياة في هذا الزمن الطويل أن تجد فيها عنتا أو ضيقا أو عثرة في السير ، وإنما كانت تصقل الجوانب الخشنة من الحياة نفسها ، وتشيع النور الإلهي في ظلامها كما يفعل القمر في الليل والشمس في النهار

ويعرض علينا التاريخ في مسيره الطويل ، منذ أن رأى رسالة الإسلام الخالدة ، سجلا طويلا في غير أتباع الإسلام ، ممن أنصفوا الحقيقة من أنفسهم ، وأقوامهم ، وزمانهم ، ونوعا آخر من ذلك الطراز الذي عميت قلوبه ، والذي زعم أنه لا يستسيغ مذاق الماء العذب ، لا لأن الماء العذب مر المذاق ، وإنما بحكم مافي تلك النفوس من مرض ، ومافي تلك الطبائع من اعوجاج ، وما في تلك القلوب من غل موروث من البيئات المنحطة الحاقدة ، التي فتحوا عيونهم على ما فيها من ظلام دامس حجب عنهم النور — ومع كل ذلك تقدم الإسلام هو الإسلام سائراً في الطريق المستقيم الذي لا ينحرف ، كما تسير الفصول الأربعة ، وكما تشرق الشمس ، وتطلع النجوم ، دون أن يتأثر بالإنصاف أو التجريح ، لأنه أقوى من الحياة ومن الطبيعة نفسها

لقد أنصف كارليل ، وغستاف لوبون ، وإمام المؤرخين وسيدهم العظيم إدوارد جبون ، وغيرهم من أحرار الفكر في بلاد الغرب ، النبي العربي ، انصافا انبعث من طبيعة كان الحق فيها أقوى من البيئة الموروثة التي يعشش فيها الباطل ، وتسيطر عليها قوى الظلام . وتجنت على النبي نفسه طائفة أخرى من طراز المبشرين الذين اتخذوا الدين وسيلة للعيش ، بعد أن أدبروا عن الحياة التي لا يصلحون لها ، ومن طراز آخر يجيد افتراء البهتان على علم ، وعلى سوء نية ، ولؤم تدبير ، وقبح غاية ، كصاحب (تاريخ العالم) ولز ، ومن طراز هابط حقير ، يجيد التقليد ، إجادة القرود محاكاة الإنسان ، على جهل ، كسريفا ستترا الهندوسي السفيه ، المدرس في جامعة أكراه ، الذي تطاول على الرسول الكريم في كتابه القذر في مدارس الهند ، التي ترغم أولاد المسلمين هناك ، على تعلم ما فيه من المثالب بسيد المرسلين ، وأكمل البشر ؛ وأنف مولانا أبي الكلام أزاد ، وزير معارف الهند المسلم ، راغم ، وألف راغم

ونحن المسلمين ، في الوقت الذي نستغرب فيه ، أن تقرر الحكومة التي يرأس وزراءها جواهر لال نهرو المظايم ، وارث إنسانية المهاتما غاندي الخالد ، كتابا فيه مثل هذه المفتريات والمطاعن ، على النبي الذي يقدسه ثلثمائة مليون من الشعوب الإسلامية التي تربطها بالهند الناشئة ، صلات قوية من الجوار والتاريخ ، نحتج أشد الاحتجاج على تقرير هذا الكتاب ، وعلى إجبار أبناء المسلمين على تعلم المطاعن في النبي الذي يدينون بدينه الحنيف ، والتي وردت فيه

ونحن المسلمين أيضا ، لا نستطيع أن نعلم سريفا ستترا وبنى قومه الذوق والآداب الإنسانية التي تعارف عليها البشر ، في الابتعاد من كل ما يؤذي شعور الآخرين ؛ ذلك لأن الذوق شيء لا يتعلمه الإنسان من الكتب ، ولا يجده في الجامعات ، وإنما هو شيء ثمين تضعه العناية الإلهية في الجوهر الخالد في بعض الأرواح ، حين تأخذ طريقها من عالم الغيب إلى عالم الوجود . ومن المحقق أن نصيبه من ذلك الذوق كان ضئيلا أو معدوما

ونريد أن نسأل سريفا ستترا عن دماء الأطفال والنساء والشيوخ من المسلمين التي أراقها أبناء جلدته في أفظع صور الوحشية ، وأبشع ألوان البربرية والهمجية ، تلك الأعمال التي كانت تقود الناس إلى اقترافها الشرطة التي يوكل إلى شرفها حماية أرواح المواطنين بلا تمييز ، والتي كانت تتقرب باقترافها ، تلك الجماهير الحاقدة ، إلى أوثانها التي تعبدها من دون الله . نريد أن نسأله عن الغاية الإنسانية السامية التي كانت تهدف إليها جماعة الأريا سماج ، والبراهمو سماج في تحريض الناس على ذبح المسلمين ؟ (١)

والشيء الذي يطيب لنا أن نقوله في هذه المناسبة لجماعة الأريا سماج وجماعة براهمو سماج ، الجماعتين الحاقدتين على المسلمين وعلى دينهم ، واللتين ترميان إلى استئصال الدين الإسلامي من الهند ، وإجبار المسلمين على ترك ذلك الدين ، ومحاولة إرغام الباكستان ،

(١) جمعيتان معنى الأولى الجمعية الاربة ، ومعنى الثانية الجمعية البرهمية ، والأولى ترمى إلى تطهير الدم الهندى من دماء المسلمين التي امتزجت به عن طريق ذبح المسلمين ، والثانية جمعية إلحادية لا تؤمن بالله ، وغايتها القضاء على دين المسلمين في الهند

الدولة الإسلامية الفتية الجبارة، على الرضوخ لإرهابهما، والعودة بها إلى ظلام الوثنية والقضاء على استقلالها؛ تريد أن تؤكد لها أن الإسلام في إشراقه وخلوده كالشمس، فإذا كان في مقدور البشر القضاء على الشمس وإطفاء نورها، كان في إمكان هاتين الجامتين القضاء على الإسلام في الهند

ولقد صمد الإسلام في الحروب الصليبية للدول النصرانية التي هاجمته من أوربا في أوائل القرن الحادي عشر لميلاد المسيح، ونازلها في حروب دامية، استمرت قرنين طويلين، كان النصر في نهايتها للاسلام، فانهزمت تلك الدول الواحدة بعد الأخرى، تشيعها اللعنات من التاريخ الذي سودت وجهه بما اقترفته من آثام ومخاز ومحرمات، والذي ذكر بأحرف من نور سماحة الإسلام ممثلة في إنسانية صلاح الدين الأيوبي، وعفوه، وكرمه وبطولته

إن الجماهير التي قتل الجهل والمرض والفقر جميع النوازع الإنسانية العليا في أنفسها والتي تؤلف الكثرة المطلقة في الهند، والتي لم يسلم غاندى الخالد نفسه من همجيتها، وهو يحاول قيادتها إلى طريق الفضيلة والخير، أحوج ما تكون إلى جيل قوى مؤمن بالإنسانية المطلقة، من أساتذة الجامعات، يحاربون عن طريق التسامح، النوازع الهابطة في الحيوانية في تلك النفوس، ويستمرون في أداء رسالة الهاتما غاندى، للخروج بالهند من ظلام العصور الحجرية التي تعيش فيها الآن من الناحية الإنسانية، إلى نور حضارة القرن العشرين

لقد كفلت حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة لجميع البشر حرية العبادة، وحرية الرأي، والتحرر من الخوف، ولكن يبدو أن حكومة الهند لا تقيم وزنا لهذه الحقوق التي تكفل بها ذلك النظام للأقلية الإسلامية من رعاياها، وهي من أبرز الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة

وخرجت الهند على المسلمين في التمثيل السياسي بمسرحية بارعة قابلها المسلمون في جميع أقطارهم بما تستحقه من سخرية؛ ذلك أن المكر البيت قد هداها إلى إرسال نفر من رعاياها المسلمين ليمثلوها في البلدان الإسلامية، لذر الرماد في العيون، وليخدع المسلمين عما تدبره جماعة الأرياسماج ومن على شاكلتها لإخوانهم في الدين من مذابح واضطهاد، ومستقبل مظلم رهيب، يهدد حياتهم ومعتقداتهم، وينذرهم بشر مستطير، وفناء محتوم، وبعض هؤلاء المسلمين لم يوصلهم إلى شرف هذا التمثيل غير زواجهم من الهندوكيات غير الكتابيات اللاتي لا تجيز مبادئ الإسلام للمسلمين التزوج بهن لأنهن مشركات

ونحن نقترح على حكومة الهند، بعد أن أدرك المسلمون إدراكا صحيحاً غايتها من إرسال هؤلاء المسلمين الدبلوماتيين إلى بلادهم، أن ترسل هؤلاء المسلمين إلى أقطار غير إسلامية، وأن تستبدل بهم جماعات من الهنادك المتعصبين المتعطشين إلى سفك دماء المسلمين من جماعات أرياسماج، ومن طراز سريفاسترا، لنعلمهم معنى التسامح الإسلامي، ولنزيل ما في نفوسهم من انحراف واعوجاج، وهي إذا فعلت ذلك أشاعت جوا من روح الود الخالص والتسامح الصحيح بيننا وبينها، وقدمت البرهان العملي على إخلاص نيتها وأنها تسير في الطريق المستقيم

إن الظلام الذي يعيش فيه سريفاسترا ومن على شاكلته من الهنادك المتعصبين، ستمحوه الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين الذين سيحسنون لقتهم السنكريتية، ويقبلون عليهم وقد حملوا إليهم نور الإسلام، فيتم الله نعمته عليهم ويزول ظلام الشرك والوثنية عن الهند، وتتحرر فيها الجماهير الجاهلة، ويصبح سكانها أمة واحدة لا حقود ولا نجس ولا حقير فيها، ولا يتفاوت الناس هناك إلا بما يقوله تعالى وهو أصدق القائلين (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

والمسلمون في أقطارهم المتباعدة يرقبون بعين العطف الشديد والجزع المصير الذي سينتهي إليه إخوانهم في الدين؛ أولئك الذين رماهم سوء الطالع تحت رحمة تلك الوحوش المفترسة من الأرياسماج. ومن يدرى؟ فلعل استمرار هذه الجماعات المتعصبة في تحديها للمسلمين سيدفع البلدان الإسلامية إن آجلا أو عاجلا، إلى منازلة أولئك الهنادك في حروب صليبية جديدة داخل الهند وخارجها، بالطريقة التي ترضاها الأرياسماج والتي لن يجبن المسلمون عن تقبلها

لقد أفاق العالم الإسلامي من سبات القرون الطويلة، وأخذ المسلمون يشعرون بأنهم كالجسد الواحد، إذا أصاب الألم عضوا من أعضائه، أحست بصدى ذلك الألم سائر الأعضاء

الأخرى . والمسلمون الذين يحكمهم الهنادك ليسوا منفردين فى معركة الدين ، وإنما تحيطهم بالعطف والرعاية قلوب الملايين من إخوانهم فى الدين ، ولن تتخلى عنهم ، وإنما ستجاهد إلى جانبهم حتى تكفل لهم الحرية المطلقة فى الدين والرأى ، وتحررهم من الخوف

وإذا كان الأدباء فى الأمم كالرواد ، يمهدون الطريق الوعر الشائك للسائرين عليه وراءهم من أبناء جنسهم ، وكان رجال الدين فى الأمم كالمصابيح تبدد الظلام الذى قد يكتنف ذلك الطريق. ورجال الأزهر فى مصر ، باعتبارهم المؤسسة الإسلامية الخالدة التى تسهر على الإسلام والمسلمين فى ديارهم المتباعدة ، ورجال الدين الإسلامى فى الأقطار الإسلامية الأخرى ، مسؤولون عن وقف هذا الهندوكى السفيه عند حدود الذوق ، وعن منع استعمال كتابه القذر فى المدارس التى يتعلم فيها أبناء المسلمين وغير المسلمين ، بحكم ما فيه من طعن لا يليق أن يقال عن سيد المرسلين وخاتم النبيين ، بالوسائل التى تكفل ذلك ، دون اللجوء إلى أضعف الإيمان فى مقاومة هذا المنكر، شأن العاجز الذى لا يعرف المبادرة إلى العمل السريع . وإننا لمنتظرون

بغداد علي محمد سرطاوي

رسالة المربى

« ظهور المدرسة ، الطريقة النفسية والمنطقية ، التقاليد »

للأستاذ كمال السيد درويش

إذا كانت رسالة المربى فى الحياة كما نراها هى المحافظة على سلامة الاتجاه الطبيعى نحو التعليم ، فإن ذلك الكلام يحتاج إلى المزيد من التوضيح . والواقع أن هذه الرسالة على بساطتها الظاهرة تستدعى مسئوليات جمة ، وتتطلب مجهودات كبيرة ، ولكنها إلى جانب ذلك جديرة بأن تحتل أسمى مكان وبأن تصبح المثل الأعلى للجميع

إن بساطة تلك الرسالة وسهولة إدراكها تدعو إلى التساؤل عما إذا كان الإنسان قد سار عليها من قبل أم لا؟ وإذا كان لم يعمل بها فما هى الأسباب التى حالت بينه وبين ذلك ؟ وإذا أردنا العمل بها فما هى الأسس العلمية التى يستدعيها التطبيق ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها تتطلب منا أن نسير مع عملية التربية منذ بدأت لنرى كيف سارت خلال العصور الماضية حتى وصلت إلى تلك الحالة التى وصلنا إليها اليوم؛ والتى لا يحسن السكوت عليها بأى حال

بدأ الإنسان يتعلم – كما ذكرنا – منذ أن ظهر على سطح الأرض مدفوعاً إلى ذلك بغرائزه المتعددة . فالانسان – مثلا – حينما كان يقطن الغابة – كان إذا ما شعر بالجوع اندفع يبحث عن طعامه داخل الغابة، حتى إذا ما رآه فى أعلى شجرة ممثلا فى ثمارها اضطر إلى التفكير فى كيفية الحصول عليه ، وفى تسلق الشجرة مثلا . وقد يفشل أو ينجح ، فاذا ما نجح تناول الثمرة ووجد فيها الغذاء الشهى أخذ يتعمد تسلق الأشجار جرياً وراء الثمار وإشباعاً لغريزة البحث عن الطعام

كانت حياة الانسان الأول فى الغابة إذن هى المدرسة التى يتعلم فيها . تعلم فيها كيف يتسلق الأشجار وكيف يقى نفسه شر الحيوانات الكاسرة ، كان يتعلم فيها بتلك الطريقة العملية ، طريقة التفاعل مع البيئة التى يعيش فيها .

وقد ظلت طريقة التعلم بالتفاعل مع البيئة قائمة حتى توالت الأجيال وتغيرت الأحوال وأصبحت لا تفى بالغرض المنشود حين بدأ الانسان يلمس فشلها فبدأ يتخلى عنها إلى غيرها ، إلى طريقة أخرى تلائم الوضع الجديد : ذلك أن المعلومات أخذت تزداد وتنمو بمضى السنين . وأصبح عمر الأبناء عليلا لا يتسع لممارسة خبرة الآباء والأجداد بطريقتهم العملية . ووجد الآباء أنفسهم مضطرين إلى تزويد أبنائهم بخبرات ومعلومات هى خلاصة مئات السنين والآلاف على أن يتم ذلك خلال سنوات الطفولة . عند ذلك أحسوا بالمشكلة ، مشكلة إعداد الأبناء الناشئين حتى يستطيعوا الانسجام مع هذا المجتمع الذى سيعيشون فيه ، لأنها – وهم لا يعلمون أى شىء من أسلوب حياته أو طرق المعيشة فيه – طرق وأساليب قد تبلورت خلال مئات الآلاف من السنين، فهل تكفى سنوات الطفولة بل سنوات العمر كله لهضم وتمثيل

مالم يهضم إلا خلال القرون والأجيال ؟!

ظهرت المشكلة واعترضت الانسان فأيقن منذ ذلك أن إعداد الطفل الناشيء أمر خطير . وازدادت المشكلة تعقيداً بنمو الانسانية على مدى العصور حتى أصبحت في القرن العشرين تحمل في طياتها أعباء ما انقضى من القرون

وبدلا من أن يحاول الانسان حلها حين اصطدم بها نفض يديه منها وأحالها على غيره . أو بالاحرى وجد حلا للمشكلة في أن يتركها ويتخلص منها بإحالتها على من يتخصص للنظر فيها ، على هؤلاء الذين عرفوا بين الناس من ذلك الحين بالمربين . وجاء المربي فوجد أمامه ثروة ضخمة هائلة من المعلومات المتراكمة ، ووقتاً ضئيلا لايكاد يصلح لممارسة شيء من تلك المعلومات في عقول الناشئين وهل هناك طريقة أسرع وأضمن من طريقة الكلام؟ طريقة التلقين ؟ عند ذلك استخدمها وفرح بها وتكالب مع غيره من المربين على اتباعها .

وهكذا انتقلت التربية من وسيلة العمل والتفاعل مع البيئة إلى وسيلة الكلام والاستماع ؛ ومن ميدان الغابة أو ميدان الحياة إلى ميدان المدرسة بجدرانها الأربعة المحدودة . ولقد كان ظهور المدرسة أمراً حتميا للتخصص في عملية التربية ، إذ استطاعت منذ ظهورها فرض سيطرتها على التربية والتعليم حتى اليوم . فهل نجحت المدرسة ؟ هل أدت رسالتها أو حققت الغرض منها ؟

يدرك معظمنا شبح المدرسة ويلمس آثاره . يرهبها الصغير ويهرب منها الكبير ويتحمل مرارتها الصبور والمضطر ، ويكفي أن نذكر أن فقدان الميل الطبيعي نحو التعلم هو من بين ضحايا شبح المدرسة الجاثم فوق صدور الناشئين حتى نعلم إلى أي حد نجحت المدرسة أو فشلت في تحقيق رسالتها

قامت المدرسة ولا تزال تقوم حتى الآن بالدور الرئيسي في عملية التربية ، ولذلك تقع عليها معظم المسئولية ، مسئولية ابتعاد التربية من هدفها ورسالتها كما يجب أن تكون . ولكي نتبين ذلك بوضوح سنقارن بين الطريقة النفسية في التربية والطريقة المنطقية

ذكرنا أن الإنسان تعلم أول ما تعلم في ميدان الحياة . شعر بالجوع فقام يبحث عن غذائه . سار في الغابة فشاهد حيوانا . أراد صيد الحيوان لطعامه فبدأ يهاجمه فرد عليه الحيوان بالمثل وعاد إلى كوخه جريحا جائعا . نظر إلى جرحه فأيقن فشل طريقته الأولى وبدأ يفكر في طريقة جديدة تجنبه الأخطار . وبدأ يجرب . أمسك فرعا من فروع الأشجار ليستمد به في الدفاع عن نفسه أثناء الصيد هذه المرة . وكسر الفرع ففكر في اتخاذ آلاته من مادة أصلب كالأحجار والصخور ساعدته في التغلب على عدوه والعودة بصيده في سعادة وهناء . لقد عاد بالصيد ولكن . . . بعد أن تعلم الشيء الكثير . لقد تعلم عدم المخاطرة بنفسه ضد الحيوان الكاسر ، وضرورة الاقتراب منه بحذر وهدوء ؛ وعدم صلاحية فروع الأشجار ؛ والاطمئنان إلى صلابة الأحجار ولاسيما أحجار الصوان بعد صقلها وتهذيبها

هكذا كان يتعلم الإنسان الأول نتيجة لدوافع غريزية وبطريقة عملية حصل خلالها على تلك المعلومات التي اندمجت في خبرته الحسية لعل بعضها ذلك الجرح الذي لم يندمل أو ذلك الصيد الذي لم ينته من التهامه بعد

هذه الطريقة التي تعلم بها الإنسان الأول والتي تتمشى مع الغرائز الإنسانية هي الطريقة الطبيعية التي اصطلح العلماء على تسميتها بالطريقة النفسية

الطريقة النفسية إذن طريقة بسيطة عادية تتمشى مع ميول الإنسان الغريزية . ولذلك كان سلوكه نحو التعلم فيها تلقائيا أو فلنقل سلوكا غريزيا ؛ له ما للسلوك الغريزي من كل مظاهر التلقائية والتغير والرغبة في تحقيق الهدف المنشود . وتتضح هذه المظاهر فعلا في المثال السابق . فالإنسان الأول حين قام ليصطاد من الغابة قام من تلقاء نفسه ولم يأمره بذلك أحد ، ولم يكن سلوكه أثناء الصيد جامدا ثابتا بل كان متغيرا متحولا . لقد استعمل يديه أولا فجرح ، واستعمل فرع الشجرة فقصف ، فلجأ إلى الأحجار يصقلها ويشحذها حتى نجح . وكان ذلك التغير في سلوكه مرتبطا بتحقيق هدفه المقصود ألا وهو الصيد المنشود . وكان لسلوكه هدف واضح منذ البداية هو الحصول على ذلك الحيوان . ولقد انتهى السلوك بالحصول على الغاية المنشودة

وهو لم ينته تماما لأن الخبرة التي حصل عليها من جراء ذلك

السلوك هي خبرة حسية دائمة. لن ينسى قط تلك الطريقة الناجحة في الصيد. لقد جربها بنفسه فكيف ينسى؟! لم ينقطع سلوكه تماما ما دامت هذه الخبرة الحسية موجودة وقائمة، إذ أن سلوكه سيظهر من جديد محاولات أخرى للصيد تستخدم فيها تلك الطريقة أي تستخدم فيها الخبرة الماضية ويستفاد منها في الحصول على صيد أكثر بطريقة أضمن وأسهل وأسرع

تلك هي مميزات الطريقة النفسية التي تعلم بها الإنسان الأول هذه الطريقة التي تم التعلم على يديها بخير كثير حتى عت الإنسانية خلال القرون والأجيال وازدادت معارف الإنسان. اكتشفت المادن فحلت الحربة النحاسية محل أختها الصوانية الحجرية، ثم ظهرت الطلقة النارية فحلت محل الحربة النحاسية. وظهر المعلم في المدرسة ووكل إليه أمر تعليم الناشئين هؤلاء الذين لا يعلمون من أمر دنياهم ولا من سبقهم فيها شيئاً. ولم يتردد المعلم في التعليم. ولكن كيف لجأ إلى نفس الطريقة التي لجأ إليها الأب حين سأله ابنه وهما خارجان للصيد معاً:

كيف أصطاد؟ ففكر الأب وقال في نفسه: «أأترك ولدي ليقع في الخطأ الذي وقعت فيه من قبل فيجرحه الحيوان وقد يقتله أم أزوده بخبرتي حتى ينتصر بطريقتي؟ لا؛ سأنصحه وسأسدد خطاه. عند ذلك التفت إلى ولده قائلا: خذ هذا الحجر واضرب به من بعيد؛ أو خذ هذه الطعنة واطعن بها، فهكذا أوصانا الآباء عن الأجداد

هذه هي الطريقة وما أسهلها. يعطيه خلاصة المجهود الذي بذله في سنوات، والذي بذله الآباء والأجداد في آلاف السنين، يعطيه إياه خلال كلمة أو كلمتين. ألا يكون بهذا قد وفر عليه ضياع جهوده في تجارب فاشلة قد وقع هو فيها من قبل؟

تلك هي الطريقة المنطقية، أو هكذا اصطلح العلماء على تسميتها، هي طريقة إعطاء الخلاصة والنتائج مباشرة للناشئين. ولو نظرنا إلى موقف الابن بعد أن تسلم الحربة وبعد أن طلب إليه أن لا يصطاد إلا بها لوجدنا أنه في حاجة إلى توضيح. لقد طلب إليه ألا يصطاد إلا بها وبوده لو ترك لحربته فيصطاد بيديه ويهجم بجسمه هو ليشعر في قرارة نفسه أنه قد قيد بطريقة لا يفهمها ولا يدري السر في إصرار والده على ضرورة التمسك بها. وهو مضطر للعمل بها إرضاء للسلطة العليا الممثلة في شخص أبيه؛ فكأنه لم يقبل العمل بهذه الطريقة إلا لإرضاء السلطة العليـــا؛ ولذلك يظل عمله بها قائما وباقيا ما دامت هذه السلطة موجودة لتمد عليه حركاته وسكناته وتراقب كل تصرفاته، ولذلك تراه يتخفف من العمل بما أمر به حين يخلو إلى نفسه وحين يبتعد عن سلطة الرقباء، يخالف ما تعلمه في الحال ويبدأ في الصيد بطريقة أخرى تنسجم مع ميوله وأهوائه.. سيجرب الوسيلة التي كان آباؤه قد جربوها من قبل، وسيصيبه مثل ما أصابهم من ضر، وعند ذلك يبدأ في إدراك الحكمة فيما علمه إياه أبوه، ويفهم السر في تمسكه وإصراره، والحكمة في إرشاده وتعاليمه

وهكذا يمكن أن نجمل موقف المتعلم بالطريقة المنطقية بذكر المظاهر الآتية: —

١ — إزوراره عن التعلم أو انعدام الرغبة لديه

٢ — تقيده التام بما يراد له أن يتعلمه

٣ — عدم قبوله للتعلم إلا مضطرا وتحت ضغط عوامل خارجية

٤ — العجز عن الفهم أو عن إدراك الحكمة فيما يتعلمه

٥ — إن التعليم غير ثابت ويزول بزوال المؤثرات الخارجية المرتبطة به

٦ عدم ثبوت ذلك التعليم إلا إذا حدثت خبرة حسية يمر فيها المتعلم مصادفة فتؤدي إلى إعطاء المعلومات الشكلية السابقة قيمتها الحقيقية

ويلاحظ أن الخبرة العملية هي عودة إلى الطريقة النفسية، وأن مرور المتعلم خلالها وممارسته لها قد غيرت من سلوكه السابق نحو عملية التعليم وحولته من الإدبار إلى الإقبال، كما حولت عملية التعليم ذاتها من الفشل إلى النجاح

حقا إن الطريقة النفسية بعد أن قارنا بينها وبين الطريقة المنطقية تبدو وثيقة الصلة بالرسالة التي يجب على المربي القيام بها

البقية في العدد القادم كمال السيد درويش

ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالي
مدرس بالرمل الثانوية

ألمانيـــــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أمة من الفرسان تحالف ضدها الإنسان والزمان ، ودولة يحتل الأعداء أراضيها وقد كانت تحتل من معظم القارة الأوربية كل مكان ، وشعب ينهزم ولكنه لا يلبث أن يقف ناهضاً ، ودولة مهزومة ولكن إن تعجب لشيء فاعجب لأن غالبيها يرهبونها أشد الرهبة ، ويرعبهم ذكر اسمها أشد الرعب ، وإن كنت غير مصدق فسل فرنسا والفرنسيين ، وأنت كفيل بأن تصل حتما إلى الحقيقة واليقين

وإن أنس لا أنسى سيدة فرنسية كانت تقيم فى المنزل الذى كنت أقيم به فى ١٩٣٩ أى عند قيام الحرب العالمية الثانية وكان قومها يسكنون على حدود فرنسا الشرقية أى المجاورة لألمانيا ، فلما أعلنت الحرب جاءتنى فزعة مضطربة ومعها جريدة فرنسية تحمل النبأ ، فحاولت أن أهدئ من روعها وأن أطمئنها فقلت لها : « يا سيدتى إن الجنود الفرنسيين البواسل سيصمدون أمام الألمان المعتدين ولن يصيب قومك سوء » فكان جوابها : « يا سيدى أنت لا تعرف الألمان ؟ سلنى عنهم أجبك : إنهم قوة قاهرة غلابة لاقبل لنا بها ، وقوم متوحشون لاتعرف الرأفة إلى قلوبهم سبيلا »

فى ١٩٤٣ زارنى صديق كان يقيم بمدينة ليون بفرنسا فى الفترة من ١٩٣٨ — ١٩٤٢ وكان من الطبيعى أن أطلب إليه أن يصف حالة فرنسا والفرنسيين عند قيام الحرب وعن مدى الفزع الذى استولى على الفرنسيين إذ ذاك ، فأجابنى بما يأتى . قال : كان لى صديق من الفرنسيين فلما قامت الحرب جند ، فذهبت لأودعه وأبديت أسفى لفراقه وخوفى عليه وإشفاقى من طول غيابه ، ولكنه أجابنى قائلا « لا يا سيدى لن يطول غيابى فإنى عن قريب عائد » . ولا عجب فإن الفرنسيين كانوا لا يثقون بأنفسهم ويؤمنون بأنهم لن يستطيعوا الوقوف فى وجه الألمان . وفعلا عندما التقى الفرنسيون — وكانت قلوبهم هواء — بالفرسان الألمان لم يلبثوا إلا عشية وضحاها ثم ولوا مدبرين !

ويتجلى مدى خوف فرنسا من ألمانيا فيما تقدم به كليمنصو رئيس وزراء فرنسا غداة انتصار الحلفاء ١٩١٨ من وجوب تقسيم ألمانيا إلى دولتين حتى تضعف ويزول الخطر عن فرنسا . وقد كان كليمنصو على حق فيما ذهب إليه : لقد احتلت جنود ألمانيا باريس عاصمة فرنسا عدة مرات فى خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين : احتلتها ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨٧٠ ، وكانت تهددها ١٩١٥ ثم احتلتها للمرة الأخيرة ١٩٤٠ — ١٩٤٥ وقد نزل الدمار بشمال شرق فرنسا وبشرقها وبعاصمتها فى كل غارة من هذه الغارات

ولكن الحلفاء لم يأخذوا بوجهة نظر فرنسا ، فإنجلترا رفضت لأنها كانت ومازالت ترى ضرورة قيام ألمانيا كدولة قوية فى وسط أوربا حفظا للتوازن الدولى ، ففى شرق القارة توجد روسيا وفى غربها توجد فرنسا ومن ثم يجب أن تكون هناك دولة قوية فى وسط القارة تمنع طغيان إحدى هاتين الدولتين (وخاصة روسيا حاليا) على القارة الأوربية . ولعلنا نلمس ذلك بوضوح فى السنوات الأخيرة ، فقد كان من نتائج هزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥ أن تقدمت القوات الروسية من الشرق واحتلت شرق ألمانيا وتقدم قوات الحلفاء (إنجترا وفرنسا وأمريكا) من الغرب واحتلت كل دولة جزءاً ثم بان الخطر الروسى فحاول الحلفاء جاهدين توحيد ألمانيا (رغم معارضة فرنسا) ولكن روسيا وقفت فى وجههم وبات أعداء ألمانيا بالأمس على أحر من الجمر يحاولون إعادة ماهدموه وما أنفقوا الملايين من الأرواح فى سبيل هدمه ، ولاريب أن كل هذا التطور نشأ عن ظهور الخطر الروسى مما دعا إلى ضرورة إيجاد دولة قوية تقف فى وجهه ، وقد فطنت روسيا إلى أهداف الحلفاء فمارضت فى الجلاء من الأراضى الألمانية التى تحتلها وفى وحدة ألمانيا حاليا

وقد عارضت أمريكا (الولايات المتحدة) طلب فرنسا سنة ١٩١٨ لأن رئيس جمهوريتها ولئن كان قد أعلن مبادئه الأربعة عشر ، وأهم مبدإ فيها أن لكل قوم الحق فى تقرير مصيرهم ، فرأى ولئن أنه لا يستطيع أن يعلن عن مبادئ ثم يتنكر لها فى نفس الوقت او بعبارة أخرى أن يؤمن بمبادئ ويكفر بها

فى نفس الوقت ، ولذلك رفض فكرة تقسيم ألمانيا . ومضت السنون، وفى عشرين سنة أعادت ألمانيا قوتها وقواتها. وفى ١٩٣٩ اشتعلت نيران الحرب الثانية وتحققت مخاوف الفرنسيين وداست ألمانيا على حرياتهم واحتلت عاصمتهم وديارهم ١٩٤٠ وأقامت إلى أن تعاون الحلفاء وأمدوا قواتهم فنزلوا بأرض فرنسا ثم أجلوا الألمان عنها وتقدموا داخل ألمانيا حتى سقطت فى يدهم برلين ١٩٤٥

وتحتل قوات روسيا وإنجلترا وفرنسا وأمريكا أراضى ألمانيا الآن، ويتمنى الإنجليز على رغم معارضة فرنسا عودة ألمانيا القوية لحفظ التوازن الدولى الأوربى ولكن

ما كل يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن

غارة :

فى أواخر القرن الرابع الميلادى وفى خلال القرن الخامس تعرضت أوربا لغارة عنيفة جاءت عليها من الشرق ، ذلك أن قبائل « الهون » وهى قبائل منغولية كانت تسكن وسط آسيا بدأت تتحرك غربا وتدفع أمامها غربا الشعوب والقبائل التى تصادفها ، وقد صادفت فى طريقها القبائل التيوتونية أو الجرمانية فدفعتهم أمامها حتى استقروا فى المنطقة بين نهرى الرين والفستيولا من وسط أوربا . ومنذ ذلك التاريخ استقر الألمان فى تلك المنطقة

كان الجرمان يعيشون قبائل مستقلة ، وكان نظام حكمهم دمقراطيا فكان أحرار كل قرية يشتركون فى إدارة شؤونها ، وكانوا يمتازون بفروسيتهم وشجاعتهم ويعيشون على الرعى والزراعة والصيد

وامتاز الجرمان أيضا بضخامة أجسامهم وبقوة بنيتهم وبولعهم بالحرب والخمر والميسر حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يقامرون بنسائهم وأولادهم

وقد ظل الألمان على وثنيتهم فترة طويلة من الزمان ثم دخلوا فى المسيحية فى بدء العصور الوسطة .

ولست أحب أن أتعرض بالتفصيل لتاريخ ألمانيا ولكنى أحب أن أذكر فقط أن من يدرس تاريخ الألمان يشاهد ظاهرتين بارزتين :

أولا : تأخر قيام دولة موحدة فى ألمانيا ، إذ تم ذلك فى سنة ١٨٧٠ أى منذ ثمانين عاما تقريبا ، ويرجع السر فى ذلك إلى أن القبائل الألمانية كونت ولايات مستقلة وظلت هذه الولايات تعمل على المحافظة على استقلالها . صحيح أنه فى فترات مختلفة من التاريخ قامت دول وإمبراطوريات تضم جميع ألمانيا بل وكثيراً من الدول الأوربية ، ولكن الدولة الألمانية الموحدة توحيداً كاملا لم تقم إلا سنة ١٨٧٠

ثانيا : امتاز تاريخ ألمانيا بظهور أبطال عظام تقمصت دولتهم فى شخصيتهم ، وتقمصوا هم فى شخصية دولتهم، أمثال فردريك الأكبر ، بسمارك ، غليوم ، هتلر

وإننا ما نزال نذكر أن الناس حين كانوا يتحدثون عن هتلر كانوا يقصدون ألمانيا فكان اسم هتلر مرادفا لاسم ألمانيا . ولكن أهم من ذلك أن الألمان كانوا يتنزلون لهؤلاء الأبطال عن كثير من حرياتهم ويمنحونهم سلطة مطلقة فيصبح هؤلاء حكاما بأمرهم . ومع هذا لم يطغوا بل استخدموا هذه السلطة فى خدمة الوطن ، وكانوا أول خادم للوطن والشعب حتى بلغوا مرتبة التقديس عند شعوبهم

فكلام صلة

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

بين المتنبي وكافور

دراسة بائية المتنبي في مدح كافور

للأديب نور الدين شمسي

ليس يعنينا في دراستنا لقصيدة المتنبي أن نقف على كل شاردة وواردة فيها ، نشرحها ونعللها ونبين ما تنطوي عليه من معنى وما تحتويه من ألوان القبح أو الجمال ، لأن هذا يخرج بنا عن نطاق الدراسة العاجلة التي نريد بها اليوم أن نقف على قصيدة المتنبي جملة فنقرر ما إذا كنا نستطيع أن نرفع من شأنها لنضمها في عداد فرائده وروائع قصائده . . أو أن نضع من شأنها فنلحق بها بين قصائده التي ابتعد فيها عن عبقريته وانحط من عليائه . . أو أن نلتمس لها مكانة بين المكانتين لا نرفعها ولا نضعها . . وإنما ننظر إليها على أنها قصيدة استوى فيها عمود الشعر وأخذت من جماله بنصيب

الحق أن المتنبي ليس كغيره من الشعراء ، وإذا أردنا أن ندرس قصيدته فما ينبغي لنا أن ندرسها كما ندرس أية قصيدة أخرى لأي شاعر آخر . وإنما يجب أن نراعي خلال ذلك اعتبارات لن نستطيع مطلقاً أن نفهم القصيدة ما لم نقف عندها ملياً ونتأملها طويلا

فالمتنبي شاعر طموح كبير النفس ، لازمه طموحه منذ أن كان صبياً حتى وافاه أجله وانتهى إلى نهايته . . وطموحه هذا هو الذي جعله في كثير من الأحيان يخرج من المألوف فيفخر بنفسه فخراً لا يدانيه فخر ، ويعجب بقوته عجباً لا يماثله عجب ، وينظر إلى نفسه على أنها من نفوس الملوك والأمراء وإن وضعتها المقادير غمطاً وإجحافاً في مصاف الشعراء الذين لا حول لهم ولا قوة :

همتي همة الملوك وإن كا ... ن لساني يرى من الشعراء

إذا فهمنا هذه الناحية من حياة أبي الطيب فقد وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه أمام أعذار جمة نستطيع معها أن نقبل من المتنبي إسرافه في مدح كافور في بائيته

ذلك أن نفس أبي الطيب كانت تتململ بين جنبيه وتأبى أن تظل هكذا بعيدة عن العظمة التي خلقت لها بينما يتمتع بها أناس ليسوا بأحسن منه حالا ولا بأطول باعاً ولا بأرسخ في العلم قدما . ولذا نراه يطلبها جاداً وبأي ثمن فيمدح العبد ويقدم بين يديه الشعر الرفيع والقصيدة الخالدة؛ وكأني بنفسه تكبر ذلك وتأباه، وكأني به يتنكر ويكذب ما يقول ولكنه يرضاه مرغماً ليشبع في نفسه نهماً إلى الملك والعظمة وكبار الأمور . ولو لم تكن بين جنبي أبي الطيب تلك النفس الكبيرة لرضي بصغائر الأمور وحقائرها ولقنع بما قنع به غيره من عطاء الملوك ونوال الأمراء

لم تكن قصيدة المتنبي في مدح كافور ضرباً من المدح المعتدل، وإنما كان فيها إغراق في التعظيم وإسراف في الثناء . . وما للمتنبي من غرض يبتغيه إلا أن تبلغ القصيدة قلب الممدوح وتصل إلى وجدانه . . وما كان له من غاية ، بعد ذلك ، إلا أن يستجيب له ذلك القلب وهذا الوجدان فيبلغه القصد ويدنيه من الأمل

ولذلك نستطيع أن نسيغ تلك المبالغة التي نثرها في قصيدته بغير حساب . . ثم لا نكتفي بذلك بل لا نملك أنفسنا من أن نردد بكثير من الطرب والإعجاب قوله :

كتائب ما انفكت تجوس عمائراً ... من الأرض قد جاست إليها فيافيا

غزوت بها دور الملوك فباشرت ... سنابكها هاماتهم . . . والمغانيا

وأنت الذي تغشى الأسنة أولا ... وتأنف أن تغشى الأسنة ثانيا

إنها مبالغة لا شك . . ولكنها على جانب كبير من الروعة والجمال ، ومن ذا الذي يمنع الشاعر أن يملأ ماضغيه بمثل ذلك . . وما ميدانه إلا الشعر . . وما قوامه إلا الخيال الواسع البعيد ؟

لننتقل الآن إلى العاطفة ، ولنفتش عنها بين أبيات هذه القصيدة فهل نرى لها أثراً . . وما حظها من القوة ونصيبها من الصدق ؟

لا نستطيع أن نحكم بأن المتنبي كان صادقاً في مدحه لكافور لأنه إنما كان يمدحه حباً في الوصول إلى غرض معين . . ولكن كيف استطاع المتنبي أن يكسب قصيدته هذا اللون من القوة والتأثير ، وكيف استطاع أن يرضي كافوراً — وإن لم يصل به رضاه إلى حد الاقتناع فالاستجابة — ؟

الواقع أن المتنبي لم يكن يضمر لكافور شيئاً من الحب كما أنه لم يكن يضمر له شيئا من البغض .. وكل ما هنا لك أنه كان يطمع في أن يصل إلى شيء عن يده وبواسطته .. إذاً فما له لا يستعمل براعته في أن يجعل من قصيدته هذه قصيدة صالحة لأن تقدم إلى ملك بغية التأثير عليه وأملا في تحريك قلبه ووجدانه، وما هي حينئذ آلته إلى ذلك ؟

يقول أميل فاكيه في عبقرية شاتو بريان « إن العاطفة والجمال هما قوام الشاعر . . ولكن يكفي أحد هذين العنصرين إذا كان ممتازا أو قويا ، وإن كان اجتماعهما عند شاعر ينتج أروع الآثار »

إذاً فلم لا يلجأ المتنبي إلى خياله الخصب ما دام أحس برودة عاطفته وجمود إحساسه وله في الخيال كعب عال وسبق وتبريز ؟ وما لنا ألا نفتش عن سبب جمال القصيدة في ميدان الخيال بعد أن بحثنا عبثا في ميدان العاطفة ؟

ألا ترى إلى هاتيك الجرد الخفاف كيف صورهن خياله على أبرع شكل وبأروع صورة . . وكيف وضع أمام ناظريك صورة ذلك القطيع من الجياد : يدب آناء الليل وأطراف النهار ليبلغ كافوراً ولو بعد السير إليه :

وجرداً مددنا بين آذانها القنا ... فبتن خفافا يتبعن العواليا
وتنظر من سود صوادق في الدجى ... يرين بعيدات الشخوص كما هيا
وتنصب للجرس الخفي سوامعا ... يخلن مناجاة الضمير تناديا
بعزم يسير الجسم في السرج راكبا ... به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

أولا ترى أن الخيال وحده هو الذي ملأك دهشة وإعجابا

وانظر إلى هذا البيت الذي اعتمد على العاطفة وحدها ألا تحس ببرودته وتشعر بجموده :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا ... إليه وذا الوجه الذي كنت راجيا

إن الخيال مرة ، والمبالغة العادلة مرة ثانية ، وهذه الموسيقى العذبة التي تراها شائعة في كل أنحاء القصيدة ، وهذا البحر الطويل الملائم الذي اختاره لقصيدته . . وذلك الأسلوب الرصين والديباجة المشرقة التي لا تستطيع أن تدل عليها ببنانك وإنما تشعر بها بجنانك . . هذا كله وشيء من الصناعة الطريفة التي جاءت من غير كد ولا تكلف ، ساهم في إعطاء القصيدة درجة ممتازة ومكانة رفيعة بين سائر شعره وقصيده

° ° °

على أنه لا ينبغي لنا أن ننظر إلى القصيدة بعين واحدة فحسب هي عين الرضا والارتياح وإنما يجب أن ننظر إليها بالعين الأخرى لنرى ما إذا كان هنالك بعض ما يؤخذ عليها من عيوب :

لئن كنا أعجبنا كثيرا ببعض ضروب المبالغة التي جاءت في قصيدة المتنبي اليائية، إلا أن ذلك لا يمنعنا أن ننكر بعضها الآخر ونستقبحه ونستنذريه . ولئن سوغنا له أن يتحدث عن شجاعة كافور وبسالته بالمقدار الذي أراد، إلا أننا لا نسوغ له مطلقا أن يجعل الجنس السامي كله وما يملك من نفس ومال فداء له مبالغة في الثناء وإسرافا في الامتداح :

ومن قول سام لو رآك لنسله ... فدى ابن أخي نسلي ونفسي وماليا

كما أننا ننكر أن يقول المتنبي مثل هذا القول :

فتى ما سرينا في ظهور جدودنا ... إلى عصره إلا نرجي التلاقيا

لأننا ما عهدنا المتنبي يقول ذلك وهو الذي قال صغيرا :

أي محل أرتقي ... أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الله ... وما لم يخلق
محتقر في همتي ... كشعرة في مفرقي

وهو الذي قال كبيرا :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى به قدم

كما قال :

وكيف لا يحسد امرؤ علم ... له فوق كل هامة قدم

ومما يجعلنا نشتط في إنكارنا هذه المبالغة في هذه الأبيات التي مرت بنا ، أنه ينشدها في أول زيارة لكافور حين كان هذا يعلم تمام العلم أن المتنبي لم يحبه بعد ولم يعرف عن سجاياه ما يجعله في عينه يستحق مثل هذا الإطراء ، الأمر الذي أدخل الشك إلى نفس كافور وعرفه بأن هذه المبالغة إنما هي مبالغة في التملق والرياء لا في المدح والثناء

ولو اقتصر المتنبي على الإغراق في المدح لهان الأمر . . ولكننا نراه منذ أول قصيدة أنشدها في كافور يلوح له بما في نفسه ويطلب منه الإمارة والولاية فيدرك كافور الغرض من

عجيبة ويعرف سر هذه المغالاة فى مدحه وتعظيمه

ولو اقتصر الأمر أيضاً على الإغراق فى المدح والمطالبة بالولاية لالتمسنا له بعض العذر — مكابرين — ولكنه أرادها جائزة تليق بعظمته، بدون ستر أو إخفاء :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا لسائلك الفرد الذى جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

مما جعل كافور يخاف من نوايا المتنبي ويقول كلمته المعروفة « ياقوم إن من ادعى النبوة بعد محمد (ص) ألا يدعى الملك بعد كافور ؟ فحسبكم »

وشيء آخر لا نريد أن نمر بالقصيدة دون أن نقف عنده بعض الشيء، وهو خلوها من فخره بنفسه على غير عادته فى مدحه للآخرين .. وإن كان المدح الأمثل يتطلب ذوبان شخصية المادح فى شخصية الممدوح، إلا أننا نذكر هنا خروجه هذا من عادته لندل أيضا على ما فى هذه القصيدة من مبالغة فى الرياء، فقد أراد أن يجعلها خالصة لوجه كافور ولو شئنا لقلنا خالصة لوجه الجيش والمراقين !

لقد سمعناه يمدح سيف الدولة فما كان ينسى نفسه ولا كان يغادر القصيدة إلا وقد بث فيها كثيرا من فخره بنفسه .. ويحدثنا التاريخ أنه كان محبا لسيف الدولة فكانت عاطفته نحوه صادقة أمينة فلم يجد عندئذ من الغضاضة أن يفخر بنفسه ويمدحها فى مدحه لسيف الدولة.. وميزة أخرى جرى فيها مع عادته وطبعه وهى أنه نثر بعض الحكم فى قصيدته كما اعتاد أن يفعل فى كثير من قصائده فنراه يقول :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تتقى حتى تكون ضواريا

كما يقول :

وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

° ° °

وخلاصة القول أن قصيدة المتنبي هذه من القصائد الرائعة التى كتبت له الخلود، وإن كان فيها بعض ما نأخذه عليه، فإن ثبات المستوى ليس شرطاً فى الشاعرية وقد يجمع البحر الماسة الكريمة البيضاء إلى جانب الفحمة القذرة السوداء

نور الدين شمسى باشا

كلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

٢ – رحلة الى ديار الروم

للسيد مصطفى البكري الصديقي

للأستاذ سامح الخالدي

ولما وصلنا ، ألقينا لديهم عصا التسيار ، وفي ثاني يوم الإقامة عندهم ، حال توالي رؤيتنا برهم ورفدهم ، قصدت زيارة سيدي سبلان . وممن مشى في الركاب جمع من الأحباب منهم محمد سعيد السلفيتي ، وتوجهنا بصحبتهم إلى (سمسع) وبعد الغدا سرنا إلى (صفد) وزرنا ابن حبيب والقارة ، وختمنا الربعة الشريفة ، وتغدينا عند قاضيها إسماعيل افندي ، ذي الرتبة المنيفة ، وودعانا واليها للعشا ، وسرنا منها قبيل العشا ، وقطعنا (الخيط) بصحبة أولاد مراد ، وودعناهم عند (عين الذهب) الفائقة عين العسل ، وسرنا إلى خان (حاصبية) ومنه أتينا (أكام) وسرنا إلى قرية (راس العين) فرأيناها منتزها يسر الخاطر والقلب والعين، وبتنا عند رجلها الشيخ محمد ، واجتمعنا فيها برجل مصري يسمى بالشيخ علي ، له فضيلة في العلم بها ملي ، وفي الصباح بعد وداع رب المنزل والضيف ، سرنا كأنا نسير في وادي عوف . وعندما وصلنا (المزة) نزلنا بساحة حلوة ، ووردت علينا أحباب أعزة ، منهم الصهر النبيل الشيخ إسماعيل ، وابن العم ذو الوفا الملا مصطفى ، والصديق صاحب الأحوال السمان الشيخ عبد الرحمن السمان ، وغيرهم من أعيان ، ونزلت لدى الصهر المحترم من أجل الأخت وأولادها الحرم ، وبقية الجماعة في دار قريبة منا ، وورد كثير أحباب للسلام ، حتى حبست في البيت عدة أيام ، وبعد أن أقام الحاج حسن أياما ، وأخذ ما يحتاج إليه من الهدية عاما ، وزار الصالحية ورجالها ، وقصد أعيانها وأبطالها ، طلب الإذن بالعود الأحمد ، وتوجه ، لحرك السوا كن يوم وداعه ، وتوجه بصحبته الشيخ أحمد الباقاني والأخ الحاج سلامة الراميني (١) والأخ الراعي للعهد الحاج حسن الجاعيلي والحاج محمد الكفرعيني وبعد توجههم إلى البلاد ، بهدية للبيت والأولاد ، اجتمعت بالوزير المشير جناب سليمان باشا (٢) ، ذو القدر الخطير ، وكنت سمعت الخاص والعام يثنون عليه بحسن الالتئام مع أهل الشام ، فأكرم بما لا مزيد عليه من إكرام. حباه الله مزيد الإنعام

« وممن اجتمع بنا المحب الأمجد الذكي محمد جلبي بن مكي ، وأنشقنا مع حسن أدبه عرفه الزكي ، ومشى أمامنا يوم وداع المستور الأكرم المكي ، وقام في خدمتنا وهو المشار إليه أتم قيام ، بلغنا كل مراد ومرام

« وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الأول ، توجهنا بعد وداع أهل وأحباب إلى (حرستى) مع الصهر المحترم وجمع من الأحبة ، ثم رجع الصهر وسرنا إلى (دومة) القرية الملومة، و بتنا في دار واسعة الأكناف مع إخواننا الكرام الأشراف، وفي الساعة السادسة ودعنا ابن العم الملا مصطفى ، والأخ الأمجد الشيخ محمد السفاريني (٣) والصديق الأوحد الشيخ أحمد نجل الشيخ محمد بن شيخنا الشيخ عبد الجليل نجل شيخنا الشيخ أحمد أبي المواهب الحنبلي وغيرهم سائرين إلى (القطيفة) ثم سرنا منها إلى (النبك) ذات الحبك والسبك، وأنشدت بعد ما ذكرت الشيخ علي النبكي :

ولما أن أتيت لأرض نبك غدت عيني من الإبعاد تبكي

ومنها أتينا خان (حسية) العامر الآهل بعمره ذي الرأي الثامر ، ومنها سرنا إلى مدينة حمص وزرت رجالها من الخارج ، كالمدتين السابقتين ، وقرأت الفاتحة لسيدي خالد بن الوليد ، وورد علي تاجر يسمى بالسيد عبد الرحيم ، وطلب الاندراج في سلك أهل الرحيم ، وآخر يقال له الحاج باكير وكان أرسل لي كتابا أودع فيه أساطير ، وطلب الإجازة والانتماء للفقير ، فأجبته ، وأنا راج لي وله التعمير ، وسرنا منها إلى حمى (حماة) ولما رأيت سورها القول في قلب لفظه الأنوس ، سور حماة بهـا

---

(١) نسبة إلى قرية من أعمال قضاء طولكرم ، خرج منها كثير من علماء الحنابلة والقضاة في القرون الثامنة والتاسعة والعاشرة جاء ذكرهم في شذرات الذهب ، وقد نزحوا إلى دمشق ونشروا المذهب الحنبلي هناك

(٢) كان واليا للشام سنة (١١٤٥–١١٤٧ هـ)–١٧٣٢–١٧٣٤م وقد ترجمه المرادي ٤ – ١٩٤

(٣) سفارين قرية من أعمال طولكرم ، ترجم له ولوالده المرادي . وقد أثنى المرادي عليه وكان حنبليا وله تآليف كثيرة منها شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ومعارج الأنوار في سيرة المختار في مجلدين الخ . توفي سنة (١١٨٨ هـ) راجع المرادي ج ٤ – ٣١

عروس ، شهدت من بعيد أحبابا لهم ود أكيد عرفت منهم صهر الصهر السيد عبد الرحيم المقبلى ، ذى الشراب السلسبيلى وغيره من أصحاب ، أعرفهم من دار الصهر المهاب ، ثم تتابع استقبال أخيار، من أعيان تلك الديار، وأنزلنا المشار إليه فى داره والرفاق، وأغدق الإكرام أى إغداق، وممن حضرنا فاضل على، وفاصل ملى، يدعى بالشيخ على ، وطلب تحصيل النسبة، مع جماعة لهم فى الفضل رتبة ، فأجبناهم لذلك ، راجين لنا ولهم سلوك أحسن المسالك ، وكتبوا الأوراد والقصائد الابتهالية ، وأخذ بها ما يقارب العشرين من الأنفس الذكية ، وخرج لوداعنا إخواننا الكرام ، منحهم الله وافر سافر المرام ، وسرنا إلى (قلعة المضيق) وهان على من بعد قطع كل مضيق ؛ ومنها أتينا (الشغر) الذى امتلأ بالناس وما شغر ، ولصدر نازله بالأمن شرح فما وفر ، ثم سرنا إلى (الزنبق) وفى الأثناء ذكرت من فى الديار بق ، وتذكرت قول المصونة علما ، قرة العين ، قبل توجهى عنها بيومين ، متى يا أبى تذهب ؟ فقلت بعد غد والقلب يتلهب ، فأسندت رأسها إلى الحائط القبلى ، وأجرت دموعا تشفى المحب وتبلى ، فتبتها بقرب الرجوع، فلم يفدها غير سكب الدموع ، بل قالت مرادك تخلينى وتروح، وأنت أنة مستهام مجروح، وذكرت أخاها، عندما رقيته حناها ، وشقيقتها النفيسة نفيسة ، وبكاها يوم الوداع بأشواق رسيسة ، وأشواق كبيسة ، فأبدى التذكار ، سحاب دمع حار ،

على العاصى فى بلاد النصيرية :

« ونصبت لنا خيمة على كتف نهر العاصى ، فأتحفنا ببسط دان غير قاصى ، وسرحت طرفى فى زيتون تلك القرايا ، التى أهلها على المذهب النصيرى ، وقبل أن جمعنا المشائين على مذهب الإمام ابن إدريس ، تحركت الرفاق إلى انطاكية بوجد رسيس

فى أنطاكية :

« ثم أنا جمعنا وسرنا، وإليها على أجنحة الخيل طرنا ، ورأينا غب الوصول سورها الخراب ، المحير للألباب، ولكنه كاد يساوى التراب . وبعد أن استقر بنا المقام على جانب العاصى ، رأيت ناعورة تبكى بصوت حزين ، دائرة على قلبها تجرى عليه الدمع الحزين ، فأشجانى وأبكانى بكاها . وزرت من البعد سيدى حبيب النجار ، وكتبت للأخ الأمجد الحلبى ، الشيخ محمد بن أحمد المكتبى، كتابا مختصرا على الإخبار بوصول أنطاكية . وصورته « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على حبيب أسيافه للأعداء ناكية، وبعد فنعلم الأخ الكريم غب السلام والتكريم، أنا وصلنا بالسلامة أنطاكية ، نهار الثلاثاء الثالث عشر من شهر المولد الذى طيب عرفه الأطياب حاكية ، فأحببنا إعلامكم بذلك كما يتوجه بالدعا كل خدن محبة لقيس لبنى محاكية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

ودخلنا بها الحمام الجندى ، واشتريت فرسا حرا ، لكى أطفى من متعب السرجى جرا ، ورحلنا لنحو (بيلان) التى عقبتها أم فيلان ، وحصل يومها لطف محبته سلامة لولاه، لأهلنا التراب على رفيقنا الحاج سلامة فقلت :

ثم سرنا منها إلى (باياس) بعد ضيق يلقى ببحر الاياس
وسبقنا لها بجمع من الركب وفى خانها شربت بطاسى
ثم منها سرنا (لقرط قلاق) فأصاب الفؤاد حد احتباس
(ولسيس) قد توجه وجه الجسم يسعى كمايمثل شرب كاسى
ولنحق من نهر جيحون كوبا مذهبا مذهبا هنام راسى
واصطحبنا يوم الدخول إليها بمحب فى العلم والفضل آسى
أحمد الاسم أحمد الوصف قد حط لدى أحمد الأنام المراسى
آخذ عن أعلام شام كرام حافظ للحواس والأنفاس
خص قربا ممن يحب وشربا وكذاك الأحباب قوى ونامى

فى أدنة والأناضول فى طريق الحج الى استنبول (الآستانة) دار السعادة

« ثم دخلنا فى الصباح (أدنة) ولم نخف منع حماة سدنة ، لأن ركب الحاج ، أمنوا من أعوان الحجاج ، وطرقنا بها يوما، فاسترحنا إقامة ونوما ، ثم قطعنا الشاقط الساقط ، بعد جهد بالأسانايافط ، وأتينا (البايلا) أى النجمة بوزن الدقمة ، طلب الكلأ فى موضعه ، تقول منه انتجع فلان فلانا أى يطلب معروفه ، والمنتجع بفتح الجيم المنزل فى طلب الكلأ ، ويقال اربعوا أى أقاموا فى الربيع، وأربع إبله فى مكان كذا أى رعاها فى الربيع ، فوجدنا من النصب الشديد، ما ليس عليه مزيد ، وقطعنا من العقاب ، ما جمع كل عقاب ، وسرنا منها إلى

(خانين) تقابلا بعد قطع مخاضات أربعين ، لا تكاد تقطع لفرط شقة وعنا ، لولا أن المعين يمين ، وصعدنا منها جبلا لا ينتهى صعودا إلى الجوزا من غير سلم ، وعقبه هبطات مزعجة جدا تهبط حيل نازلها ولكن الله سلم ، إلى أن وصلنا (أولى قشلة) فاتشلنا بالنزول لديها أى نشلة ، ثم منها توجهنا بلا مهلة ، إلى مدينة (أركلة) ونزلنا لدى ماء خرار ، فذكرنا الشام الكثيرة الأنهار ، وأقمنا بها للراحة ، إذ للمكارين بها عادة استراحة ، ولولا اعتناؤهم بهذه الإقامات ، ما بلغت دوابهم دور السلامات ، وليس فى هذا الطريق راحة كطريق الحاج ، وبه وعد كثير يدهدك الأبراج. وفى يوم الأحد ورد من أهل البلد، من لهم على الجدل جلد، يرد جلدهم عليه وحسنه الخلد ، ظنا أنه يدنى دارالخلد من لأرضه أخلد ، ينتمون إلى الزادلية (٤) ، ويعظمون النكير على الصوفية ، بسند عليه لا يعتمد ، فأظهر أحدهم ميلا ما بهعند، فتكلمنا معه بما ألهم الأحد ، ورأيت الكلام مع أهل الخصام كالكلام ينكى القلب والجسد ، ومع أهل الاستسلام فكالقند الأملد ، ثم سرنا إلى (قره نبار) أى النبع الأسود ، ومنها إلى (أسمل) بجد دون قرار ، ومنها إلى (قونية) بلدة المنلاخنكار، وزرناه وجلسنا فى المقابلة ، لحظينا بإمدادات مسبلة للسابلين ، وإنعامات مختصة بكل قابل وقابلة، وسرنا إلى (اللادق) فأصابنا ريح بارد صادق ، ونبه أن هذا الطريق فى الصيف برده ينكى ، فى الشتاء عن وصفه أيها المعبر لا تحكى ، مرشدا لى إياك والسير فى أكنافى ، إلا إن كان فى الصيف الصافى . وسرنا إلى (العين ذات القبلوجة) (٥) ومنها أتينا (آق شهر) (٦) على خيول مسروجة ، ومنها أممنا (بلاوضون) ومررنا على جسرها الطويل الذى يهون ، وقبيل غيبوبة قر ، سرنا إلى بياض بليل أظلم بعد ما أنجد ، ومنها إلى (خان الوزير) ومنه إلى (السيد غازى) ذى القبر الخطير ، ومنه إلى (اسكى شهر) من أهلها لهم فى الصدقة مهارة أمرها شهر ، وكتبت منها كتابا للصهر ، وكذلك كتابا للولد محمد كمال الدين ، ومنها لم نزل نسير الأرض فى طولها والعرض، ونقطع طول القفار ، إلى أن وصلنا (اسكدار) فتلقانا بها أحباب أخيار

فى مدرسة شمسى باشا :

وأنزلونا مدرسة شمسى باشا (٧) ، وانتعش القلب بالراحة من الأفكار انتعاشا ، واجتمعت بجناب المحب الأوحد ، المفرد السيد محمد الامجد ، وكتبت منها للصهر كتابا ، وآخر للولد ، وكتابا للأخ الحاج حسن بن مقلد (الجيوسى) وآخر لحمزة جلبى مكى زادة ، صدرته بـ :

سلام من ديار الروم يهدى لخدن حبه أهدى وأهدى

في دعوة ابن عم الشيخ :

« ولما وصلنا (اسكدار) أقمنا من يوم الأحد إلى الخميس ، وكان دعانا ابن العم الرئيس ، إلى داره للتأنيس ، فسرنا إليها ذلك اليوم النفيس ، وبعد أن أقمنا عنده أيام الضيافة ، وشربنا فى حانته صرف السلافة ، أتينا بإشارته مدرسته ، وكان أراد أن يدخلنا حوزته ، فلم نجبه لحب فى العزلة المحمودة ، ورعاية الأحباب يردون على منزلتنا المقصودة ، والمدرسة منسوبة لحسن باشا المقتول (٨) ، المبنية فوق سبيله القبول ، ونحن إلى الآن فيها نرتجى حصول الوصول إلى حومل القبول والدخول ، ثم يطلب الشيخ من محمد جلبى مكى زاده فى ختام كتابه « أن يسدى أجزل تحية لسدة قدوة عمدة سدة الوزراء الفخام (أى سليمان باشا المعظم والى الشام ، من تثنى عليه ألسنة قلوب ملئت من لطائفه بالغرام ، حميد الذكر والشيم الكرام ، عند الخاص والعام ، من أرباب الـؤدد والاحترام ، الوحيد الهمام ، والفريد القدام ، من نرجو له دوام خدمة بيت الله الحرام ، ليحيى الدارس فى تلك الطلول والآكام ، وينشئ ما يحوز به الإكرام من السلام فى دار السلام ، ويجدد ما يحتاج إليه الحاج فينال الأجر التام ، ويحوط أراضى الشام ، ويسعى فى عمارها ورفع جور الحكام ، لهم على الظلم إقدام

للكلام بقية — سامى الخالدى

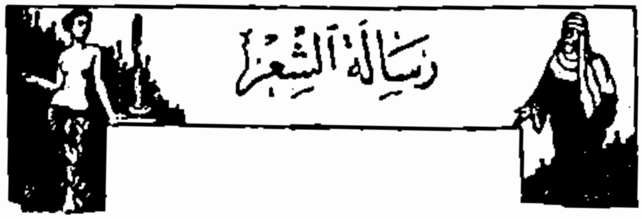
---

(٤) الزادلية هم طائفة تنتسب إلى شيخ زادة المشهور بقاضى زادة وقد ترجم فى الشقائق النعمانية . وهم ينكرون رفع الصوت عند الرسول ويقولون بهدم قبور الأولياء ويعتبرون من أخصام الصوفية

(٥) أى المياه الحارة الساخنة التى تنبع من الأرض.

(٦) أى البلدة البيضاء.

(٧) فى دمشق مدرسة بهذا الاسم (المرادى ٣ — ٢١



سألتني ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

سألتني وهي نشوى من رحيق القبلات
في خيال رائق الزهر ندى النسمات
مخملي العشب مطلول بعطر الزهرات
والدراري عائمات في خضم الظلمات
من ترى توحي إليك الشعر عذب النفحات ؟
فتحيل الليل قيثارا شجي النغمات ؟
قلت يا أغرودة الروح ويا سر حياتي
من ترى غيرك توحي لي نشيد الصبوات
أنا لولاك لما سلسلت في الناس شكاتي
ولما ساجلت بالشدو هزار الربوات

* * *

ثم قالت : وهي تدني ثغرها الظامي لثغري
أصحيح أنت لن تعشق يا شاعر غيري ؟
هل أنا الأولى التي ألهمتك الشعر بسحري ؟
إن أكن علمتك الحب فلم أفشيت سري ؟
قلت يا بهجة أيامي ويا فرحة عمري
بالذي أفرغ في مبسمك النيسان خمري
والذي أودع في صدرك أثماري وزهري
أنت من كان هواها مالكا قلبي وفكري
وإليها كان بثي ، ونجاواي وشعري
فدموعي ملء عيني وحنيني ملء صدري

* * *

ثم ألقت صدرها الناهد للقلب العميد
ومضت تسأل : هل تعشق غيري من جديد ؟
قلت ، والنسمة تهفو فوق أفنان الورود :
يا هنائي ، يا هواي البكر ، يا لحن قصيدي
أنت من كانت نشيدا قبل لقياها بعودي
أنت من كانت خيالا طاف بالفكر الشرود
ومثالا يتراءى لعيوني من بعيد
فلم التسآل عن حبك يا سر وجودي ؟
أنت من هيج قيثار غنائي للنشيد
فترنمت مع الحب بألحان الخلود

مهاجر وفلسطين

إليهم تحت كل خيمة ، وخلف كل جدار ، وداخل كل كهف

أخي في الكفاح أخي في العذاب ... أتسمع مثلي عواء الذئاب ؟
تفزع أطفالنا النائمين ... وتنذر أحلامهم بالخراب
ويفتح أعينهم في الظلام ... دوي الرصاص ولمع الحراب
فقم وادع مثلي ليوم الخلاص ... وميلاد تلك الأماني العذاب
وإن قيدوك ، وإن عذبوك ... وإن هددوك بشر العقاب
فلا تستكن يا ابن هذا التراب ... أمام وحوش الحياة الغضاب
أخي يا ابن هذا التراب الحزين ... أتسمع مثلي ابن التراب ؟
وقد ملأته جموع العراة ... أسارى الرغيف سكارى العذاب
طريقهم ملأته القبور ... ورنت بها نعبات الغراب
ومسكنهم هاويات الخيام ... وملبسهم باليات الثياب .
ولكن خلف دجاها الكئيب ... تبدو منازلهم والقباب
وهم يرفعون إليها العيون ... ولا يملكون إليها الذهاب
وهم ، والليالي تنسي الغريب ... وتلقي على الذكريات الحجاب
مضوا يحفرون بدمع العيون ... ودمع القلوب طريق الإياب

صبحي توفيق

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

رمزية فى الشعر :

أود فى هذه الرسالة أن أقف منك موقف السائل ، كما أحب أن تقف منى موقف المجيب . وأعنى أن تكون منى فى هذين الموقفين صريحا وجريئا شأنك فى كل المواقف التى عرفتك فيها من قبل

أنا لا أنكر عليك الجرأة والصراحة ، ولكنى أخاف أن تحول صداقتك بينك وبين ما أنا عارضه عليك . . وأخشى مرة أخرى أن تتغلب عليك النزعة الإقليمية التى تتغلب على الكثير من كتاب مصر — وحاشاك من هذا الظن الخاطئ — عندما يسألون عن كتاب أو كاتب وقيمته فى ميزان النقد الأدبى فيلفون ويراوغون ، ويجيبون على قدر ما تقتضيه حقوق الزمالة وصلة الجوار ، خصوصا إذا كان الكاتب مصريا والسائل من بلاد أخرى ، متخذين من الألفة عينا تغض النظر عن العيوب ما دام صاحب الأثر الفنى الكسيح صديقا يجب ألا ينال منه معول النقد النزيه أو من أثره المتصدع الأركان !

والسؤال الذى أعرضه عليك يتعلق بالشعر ، هذا الفن الجليل الذى أصبح الآن ملهاة بيد أناس لا يحسنون حق أداءه ! أما هذا الشعر فهو يتعلق بقصيدة وسمها ناظمها باسم « إلى فتاة » ، وأما صاحبها فهو صديقك — كما قيل لى — بشر فارس الحائز على شهادة الدكتوراه من السربون ، وقد نشرت هذه القصيدة أو هذا الهذر المنظوم فى العدد الثامن عشر من المجلد الخامس من مجلة « الكاتب المصرى » التى كان رأس تحريرها معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف المصرية ، ولم يتسن لى الاطلاع عليها فى حينها لانشغالى بقراءات أخرى متعددة

لقد عرض على هذه القصيدة قبل أيام صديق من شباب الأدباء ، وطلب إلى أن أبدى رأيى فيها . ولقد قرأتها عدة مرات وفى كل مرة كنت أخرج منها بعدم الفهم أو بلا شئ ! وخفت أن أظلم الدكتور بشر فارس ، أو أتهم نفسى بالمغالاة والأنانية ، فجئت أعرض قصيدته عليك لتقف حكما بين فهمى وذوقى وبين شعر الدكتور الشاعر ، ناظم هذه المعجزة التى حيرت عقول البشر من شعراء ونقاد . . إن قراء « الرسالة » فى الشرق والغرب ليتطلعون إلى حكمك النزيه الذى أعتقد أن روابط الصداقة لن تحول بينك وبين إصداره ، أو بينك وبين صراحتك المعهودة وجرأتك النادرة المثال ! وهذه هى القصيدة :

فيض أهواء العيون ... تنشد المرمى اللطيف
خاف جسات الجفون ... تحسر الوهم الرهيف
فر هفاف الجنون ... نحو أبراج الطريف
يجتلى ما قد يكون ... بعد منظور كثيف
عاد من قطب الظنون ... من سنا أوج عفيف
مثل زهو فى الغصون ... لم يروضه الخريف

* * *

بصرينى يا «وضوح» ... ثروة القطب الخطير
أنا فى وهج الفتوح ... يقظ لكن حسير
خف بى كشف طموح ... وكبا فهم كسير
فسرت فوحات روح ... فى غيابات الضمير
لمحات قد تبوح ... بخفيات الأثير
ويه جودى بالشروح ... يسرى أنس الغرير !

وختاما لك منى أصدق المودة وأخلص التحية . . . واسلم للأدب وللقراء ولأخيك :

بغداد ... عبد القادر رشيد الناصرى

مشكلة النزعة الإقليمية التى ورد ذكرها فى رسالة الأستاذ الناصرى ، تفرض على أن أعود به وبالقراء إلى الأمس القريب ؛ إلى ذلك اليوم الذى ظهر فيه العدد (٩١٥) من الرسالة حاملا إلى هذه الكلمات من قارئ أديب :

«قبل أن تطلع علينا بهذا المذهب النقدي الجليل — مذهب الأداء النفسي — كنت أتوق وأتمنى لو أن في أدبنا العربي مثل هذا المنهج في دراسة الأدب ونقد الشعر وعند ما قرأت مقالك الأول، وأخذت في قراءة الثاني أمسكت عن القراءة وعزمت على أمر.. عزمت على أن أنتظرك حتى تتم هـذه المقالات أو هذا المنهج في فصولك النفيسة، فتضع بذلك حجر الزاوية في بناء النقد العربي الحديث، لأني أردتها قراءة مترابطة آخذا بعضها بمرى بعض.

إلى هنا ياسيدي وأنا أوافقك على كل ما ترى، وأذهب معك إلى أن «الأداء النفسي» هو النظار الأفضل الذي يجب أن ننظر منه إلى نتاج القرائح وفيض العقول.. ولكن يظهر — واسمح لي بهذه — أني أخالفك فيمن طبق علية هذا المذهب ذلك التطبيق الواسع، أو فيمن يجوز أن نجده في شعره بصورة واضحة؛ ومن يقرأ تعقيباتك وردودك، ودمعة الذكرى على الشاعر الراحل يعرف أنك تقصر هـذا المذهب على نابغة المنصورة، وإن، اضطررت — لسبب ما — ألا تغفل بعض من يسكنون الشام. واستطيع أن أخرج من هذا بأن العصبية الإقليمية ما زال لها مكان مرموق وصوت مسموع، حتى عند أئمة النقد وحاملي لوائه» !

بالأمس اتهمني هـذا القارئ الفاضل — وهو من الأدباء السوريين — بالعصبية الإقليمية، يوم أن تحدثت في بحث متصل الفصول عن شعر علي محمود طه.. واليوم أسمع هذه الكلمة نفسها من صديقنا الأستاذ الناصري — وهو من الشعراء العراقيين حين يشفق علي من أزرها وأنا في معرض الحكم على شعر الدكتور بشر فارس! إن ردي على هذا الإشفاق هو ردي على ذلك الاتهام حين قلت معقبا عليه منذ شهور:

«الشيء الوحيد الذي لم أكن أنتظره أو أفكر فيه، هو أن يتهمني قارئ فاضل بالعصبية الإقليمية، أنا الذي حاربت هذه العصبية بكل ما أملك من جهد على صفحات «الرسالة»، كما أطلت برأسها من قلم كاتب أو من لسان أديب.. ومع ذلك فقد فوجئت بالقارئ الذي اتهمني على غير ترقب وانتظار!

لقد طبقت مذهب «الأداء النفسي» على شعر علي محمود طه، وإن تلك النماذج الفنية التي استشهدت بها من شعره، هي الحكم الفاصل بيني وبين كل معترض على أمانة النقد وسلامة التطبيق. ولن أضيق أبدا بأي قارئ يجادلني فيما كتبت، ما دام نقده قائما على أسس واعية من الفهم والذوق والمراجعة!

إن إيليا أبا ماضي الذي أضعه في الطبقة الأولى من الشعراء ليس شاعرا مصريا، ولعل القراء يذكرون أن أول تطبيق لمذهب الأداء النفسي على صفحات «الرسالة» كان منصبا على شعر هذا الشاعر، حتى لقد دفعته الدهشة من أن يحتفل ناقد «مصري» بشعره، إلى أن يبعث إلينا بتحيته الصادقة وشكره الخالص، على لسان صديقنا وصديقه الأستاذ محمد علي الحوماني.. ماذا أقول بعد هذه اللفتة التي أذكرها لأول مرة، حين دعت إليها المناسبة واقتضاها المقام» ؟!

هذه الكلمات التي تصور موقفنا من العصبية الإقليمية هي التي فرضت علينا أن نعود بالأستاذ الناصري وبالقراء إلى الماضي القريب؛ الماضي الذي لا يختلف عن الحاضر في شيء من أهدافه ومراميه.. وإذن فليس هناك ما يدعو الأستاذ الصديق إلى أن يشفق علينا من هذه العصبية البغيضة التي ما زلنا نحاربها بالقلم واللسان، في كل مناسبة وكل زمان!

وإذا كان الأستاذ الناصري يريد أن يعرف رأينا في هذه القصيدة الرمزية، فلا بأس من مطالعته بهذا الرأي الذي يستطيع على ضوئه أن يزن شعر الدكتور بشر فارس، وهو رأي نقتطفه من كتابنا الثاني الذي يتطلع بعد الأول إلى النور في المدى القريب.. إنه دراسة فنية عامة للرمزية النفسية والرمزية اللفظية أو الرمزية المطبوعة والرمزية المصنوعة، أو الرمزية المستحسنة والرمزية المستهجنة، ومن خلال تلك السطور التي وضعنا تحتها الخطوط، يتضح رأينا في رمزية «صديقنا» الدكتور بشر وكل رمزية أخرى عاثلها في الصورة وتشاركها في الإطار:

«ما دمنا نقسم الأداء في الشعر إلى قسمين: أداء لفظي وأداء نفسي، ونقسم الموسيقى في الشعر إلى نوعين: موسيقى اللفظ وموسيقى النفس، فإننا نفرق أيضا بين لونين من الرمزية: هما الرمزية اللفظية والرمزية النفسية.. وما دمنا ننكر القسم

الأول من الأداء ، ولا نقيم كبير وزن للنوع الأول من الموسيقى فإننا نستهجن أيضا ذلك اللون الأول من الرمزية ! إن الفارق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية هو الفارق بين الرمزية المصنوعة والرمزية المطبوعة . إننا ننشد الوضوح في الفن لأنه ركن من أركان الجمال فيه ، وطريق من طرق الإحساس بهذا الجمال ، والشعر فن من الفنون الجميلة لا مراء ، فإذا أخفينا هذا العنصر الفعال الذي يسلكه في عداد تلك الفنون ؛ إذا أخفيناه وراء ستار من التعقيد والغموض والتعمية والإبهام فقد تلاشى أول بريق أخاذ يمكن أن تتملاه النفس في هذا الفن ، وتنعم به الجمال !

نريد في شعر الأداء النفسي تلك الرمزية النفسية المطبوعة ؛ الرمزية التي تلف الفكرة العامة أو الموضوع العام بوشاحها الرقيق الذي لا يحجب الضوء ولا تضيع من ورائه المعالم . . وكل رمزية في واقع الأمر نقاب يلقى على الوجه الجميل ، ولكن هناك وجها يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين العيون ، ووجها آخر يكسبه النقاب الشفيف فوق جماله ألوانا من الفتون . وهكذا نجد الفارق الدقيق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية !

إن الرمزية في جوهرها ما هي إلا وسيلة من وسائل التعبير تستحيل معها المدركات الحسية إلى مدركات نفسية .. إنها الجسر الذي تعبره الألفاظ والأخيلة والمعاني لتلتقي في بقعة فكرية بعينها تنطمس فيها الماديات لتحل محلها المعنويات . وهي في الشعر بعد ذلك ألوان . رمزية جزئية تصب في قالب اللفظ وحده ولا تتعداه ، ورمزية مماثلة تقع من الصورة الوصفية موقع الإطار ، ورمزية كلية تشمل الهيكل العام أو الوضع العام للقصيدة . . أما رمزية اللفظ فهي رمزية الشطحات التعبيرية ، وأما رمزية الصورة فهي رمزية الشطحات التخيلية ، وكلتاهما تمثل ذلك النقاب الكثيف الذي يلقي ظلاله المبهمة الداكنة على وجه الفن ، ويحيل الومضة النفسية ظلاما تتخبط فيه الأذواق وتضطرب المقاييس في تحديد مداه ! . . هناك لفظ يدفعك إلى أن تبذل في استجلاء مراميه كثيراً من العناء لأنه يمتح من نبع شعوري معقد يتدفق من وجود داخلي معقد ؛ وهناك صورة تجهد فكرك إذا حاولت أن توفق بين خطوطها المتنافرة ، لأنها مرسومة بريشة الحركة اللاواعية ، أو لأنها من صنع المخيلة المحلقة في آفاق ذهنية لا تمكس منها غير مظاهر الضباب ؛ وهكذا نجد الرمزية المصنوعة حين نردها إلى شطحات التعبير والتحليل في نطاق الصور والألفاظ .

ولا كذلك الرمزية المطبوعة لأنها حركة استبطان نفسي قبل كل شيء ؛ استبطان تبدأ مرحلته الأولى بجمع المادة الأولية لكل ظاهرة حسية في مجالها المادي ، وتبدأ مرحلته الثانية بفحص هذه المادة الأولية فحصا يرجعها إلى مصادرها من النفس والحياة ، وتبدأ مرحلته الثالثة بعملية المقابلة والموازنة بين الطابع الحسي للظاهرة المادية وبين الطابع النفسي للفكرة الفنية . وفي هذه المرحلة الأخيرة يتم التوافق الدقيق الكامل بين عالمي الماديات والمعنويات ! .

هذه الرمزية المطبوعة التي نعنيها بهذه الكلمات ، هي الرمزية التي يرفل فيها اللفظ في أثوابه النفسية البسيطة التي لا تختلف وكل ما يماثلها في الشعر من أثواب ، والتي تخطر فيها الصورة الوصفية في مواكبها البيانية وهي مغمورة بأضواء الحركة الواعية التي تعمل في وضح النهار ، وهي الرمزية التي يبقى فيها الرمز بعد ذلك مقصورا على الفكرة العامة للقصيدة أو منصبا على الموضوع العام . عندئذ تكون الرمزية في الشعر عملا فنيا جديرا بالنظر فيه والاطمئنان إليه ، وكذلك كل عمل فني يخلو من الشعوذة اللفظية والشعوذة الفكرية !

ونخطو إلى أبعد من ذلك خطوة أخرى حين نطالب بأن تكون تلك الرمزية الموضوعية أشبه بالخريطة الجغرافية فيها مواقع المرتفعات والمنخفضات ، عن طريق « الإيماء » إلى هذه وتلك بما يتعارف عليه من ألوان . . هنا في مثل هذه الخريطة « ألوان مادية » تومئ أو ترمز للجبال والوديان والأنهار ، وهناك في مثل تلك الرمزية « ألوان نفسية » تومئ هي الأخرى أو ترمز للظواهر والخواطر والمدركات » !

ترى هل يحتاج الأستاذ الناصري بعد هذه الدراسة الفنية إلى إبداء رأينا في هذه القصيدة الرمزية ؟ مهما يكن من شيء فإن الذنب ليس ذنب « صديقنا الدكتور بشر فارس » ولكنه ذنب الصحافة الأدبية التي تنشر له مثل هذا السخف وتشجعه على مثل هذا الهراء .. ومعذرة للصداقة التي تربطنا بالدكتور الصديق ، لأننا قد تعودنا في النقد الأدبي ألا نجامل الأصدقاء !!

أنور المعداوي

رسالة النقد

في عالم النثر :

الوجودية

« ٢ »

« مهداة إلى الدكتور محمد القصاص »

للأستاذ علي متولي صلاح

في الكلمة الموجزة التي قدمت عن « الوجودية » ما يكشف عن الخطوط الرئيسية لهذا المذهب ، ويوضح معالمه الكبرى ، وإن يكن الحديث عن « الوجودية » يتطلب كلمات وكلمات ، حتى يمكن أن تستقر في أذهان الناس مبادئ هذا المذهب الذي أعتقد أننا — نحن الشرقيين على وجه العموم — أشد ما نكون حاجة إلى إقراره في نفوسنا ، لنتحلل من الميوعة والوخادة والانحلال الساري بها

وقد أوضحت في كلمتي السابقة أن « الوجودية » تطلب إلى الناس أن يكونوا شجعانا في حمل المسئوليات التي تلقيها الحياة عليهم ، أشداء أقوياء فيما يأتون من أعمال ، وأن يهدفوا بأفعالهم وأقوالهم — فإن القول عند المذهب الوجودي إنما هو عمل إيجابي بل الصمت ذاته نوع من العمل وإن يكن سلبيا — أن يهدفوا إلى تغيير أو تبديل أو هدم لوضعية من وضعيات الحياة ، لا أن يهرفوا في الهواء بكلام مثالي ولكن لا غناء فيه ولا أثر له !

ولكي أقرب إلى أذهان القراء المذهب أريد أن أعقد في كلمتي هذه مقارنة بين أسطورة تناولها اليونان الأقدمون على طريقتهم التقليدية الكلاسيكية المعروفة ، وتناولها « جان بول سارتر » على طريقته الوجودية المستحدثة ، توضح فرق ما بين خصائص المذهب الوجودي وما عداه من المذاهب ، وتكشف في جلاء عن القواعد الصحيحة التي يقوم عليها هذا المذهب الذي يناله الجاهلون بالذم والإساءة ، ويقصدونه بالتشهير والتعيير ، ليزجوا النكتة إلى القارئ ، ويقدموا إليه التسلية والتلهية ، ويكونوا عنده من الظرفاء المحببين !!

فنحن نعرف الأسطورة اليونانية الشهيرة التي نظمها أول الشعراء المثاليين النابهين من اليونان إسكيلوس في القرن الخامس قبل الميلاد ، ونظمها من بعده الشاعر اليوناني الخطير سوفوكليس في مسرحيتين ما زالتا تنبضان بالحرارة والحياة ، وما زالتا معينا خصبا للشعراء والكتاب على مختلف العصور ، وأعني بها أسطورة « أجاممنون » التي نلخصها في إيجاز شديد وفي اقتضاب لا يمكن أن يجزئ عن قراءتها كاملة — بما يأتي :

هب « أجاممنون » مع الذاهبين إلى حرب « طروادة » تلك الحرب الضروس التي عقد عليها « هوميروس » الإلياذة وعلى العودة منها « الأوديسة » ، وغاب « أجاممنون » عشر سنوات عن زوجه التي لم تكن تعلم عنه خلال هذه السنين شيئا ولا تدري من أنبائه قليلا أو كثيرا ، فاتخذت لها من دونه عشيقا « إيجست » أخاه ، وظلت تقاسمه الفراش طوال هذا الزمن ، وبيتت معه أمرا إن آذنت الأقدار بعودة « أجاممنون » !

وكتب الله النصر لليونانيين على الطرواديين ، وعاد « أجاممنون » فيمن عاد من الظافرين المنتصرين ، فاستقبلته زوجه استقبالا رائعا وأبت أن تمس قدماه الأرض فمدت له البسط الأرجوانية وأقامت له معالم الفرح والسرور . وما هو إلا أن يدخل إلى الحمام حتى تشده في لباس يحتويه كالشبكة إذ تحتوى السمكة ، ثم تهوى على عنقه فتصميه !

وكان له منها ابنة اسمها « ألكترا » وابن اسمه « أورست » ، أما الابن فقد استطاعت أخته إخفاءه وتهريبه مع مربيه الذي لازمه وما فتئ يلقنه كيف يأخذ بثأر أبيه ، وأما الابنة فقد ظلت في قصر أبيها القتيل أشبه ما تكون بالخادم أو الأمة تشهد عشيق أمها يقاسمها فراش أبيها البطل « أجاممنون » وتنتظر أخاها الغائب — وقد شب عن الطوق وصار رجلا يستطيع أن ينهض

بما ينهض به الرجال — تنتظره ليأخذ بثأر أبيه ويخلصها مما تعاني ، وقد أوحى إليها أنه لا محالة عائد فعاشت على هذ الأمل المرجو

ثم يجيء « أورست » بوحى من الإله « أبولون » فيقتل أمه ويقتل عشيقها « إيجست » تنفيذاً للوحى ، ثم يهرب إلى معبد هذا الإله محتميا به طالبا إليه ألا يتركه وألا يتخلى عنه ، ثم يحاكم « أورست » أمام مجلس من أهل أثينا ترأسه الإلهة « أثينا » نفسها فيدفع « أورست » عن نفسه بأنه لم يقترف جريمة القتل إلا استجابة لما أوحى إليه به الإله « أبولون » ، ويعترف الإله « أبولون » بذلك وبأنه هو الآخر قد أوحى إلى « أورست » بما أوحى استجابة لما أمره به كبير الآلهة « ذوس » ! ويدافع عنه دفاعا مجيدا حتى تنتهى المحاكمة بتبرئته !

هذا هو ملخص مضغوط جدا لأسطورة « أجا ممنون » كما ذكرتها الأساطير اليونانية. والذى يهمنا من هذه الأسطورة جميعها إنما هى شخصية « أورست » وعليه سنعقد المقارنة ، فاذا كان « أورست » هذا فى الأسطورة اليونانية ؟ ثم كيف صار عند زعيم المذهب الوجودى ؟

لم يكن « أورست » فى الأسطورة اليونانية غير آلة فى يد الأقدار اتخذته لتنفيذ إرادتها ، فلم يكن له هدف خاص فى جريمته ولم تكن لديه « فكرة » عنها ، ولم تكن لجريمته هذه علاقة بالحياة ... بحياته هو أو بحياة الناس الذين يعايشهم ، ولم يكن يبغى بها تغييرا أو تبديلا لشىء فى الحياة ، وهو قد تنصل منها بعد أن أتاها وضعف واستخذى وخارت قواه ، وفر إلى الإله « أبولون » ثم إلى الإلهة « أثينا » يستجير بهما من ربات الانتقام اللائى يلاحقنه يبغين قتله جزاء على فعلته ، فكانت جريمته جريمة بلهاء صماء لا معنى لها ولا أثر وراءها ولا هدف تهدف إليه

وكيف كان « أورست » هذا عند زعيم الوجودية « جان بول سارتر » ؟

إنه أخرج هذه الأسطورة على طريقته فى روايته الشهيرة المسماة « الذباب أو الندم » التى قام بترجمتها الكاتب الكبير المبشر بالوجودية فى مصر « الدكتور محمد القصاص » والتى أدعو القراء وبخاصة هؤلاء الذين يتهكمون على الوجودية أن يقرءوها فى إخلاص وتجرد من الهوى.. وأنا زعيم لهم بأن يتقلبوا لهذا المذهب أنصارا ومحبين

جعل سارتر من « أورست » رجلا آخر يغاير تمام المغايرة ما كان عليه عند اليونان ، جعله الرجل « الوجودى » المنشود !

يقترف الجريمة وهو يعنى ما يفعل ، ويقترفها حرا كريما مسئولا عنها وحده دون وحى سابق أو معونة خارجية ، ويقترفها وهو يهدف باقترافها إلى احتمال آثام الناس التى يترددون فيها ، والانفراد بالندم الذى يلاحقهم ويملأ عليهم حياتهم ، وتلاحقه ربات الانتقام وتلازمه ليضعف أو يندم أو يهن فلا يكون ذلك منه أبدا .. ويقول فى قوة وعنف « لقد فعلت ما فعلت ولن أندم عليه . » ويخاطب أخته « ألكترا » فى أمر شعبه اليائس النادم الغارق فى الإثم فيقول لها : — « أصغى إلى : هؤلاء الناس الذين يرتعدون فرقا فى غرفاتهم المظلمة تحيط بهم فقداؤهم الأعزاء . ماذا لو أخذت على كاهلى جميع خطاياهم ؟ لو أردت أن ألقب عن جدارة « بسارق الندم » ! وأن أفسح فى نفسى مكانا لجميع توباتهم »

ثم يخاطب شعبه المجتمع بين يديه فيقول لهم « ... إن جريمة لا يقوى صاحبها على الاضطلاع بحملها ليست جريمة إنسان بل هى أقرب إلى الحادث العارض ... وأنا أصر أمام وجه الشمس على نسبتها إلى وهى كنه حياتى ومعدن كبريائى ، ولم أرتكب جريمة القتل إلا من أجلكم . . من أجلكم أنتم ... ألقوا على بخطاياكم وبندمكم وبالضيق الذى يقبض لياليكم وبجريمة « إيجست » وليضطلع بجميعها كاهلى »

هذا هو « أورست » الوجودى ، أو على الأصح هذه هى « الوجودية » ممثلة فى أورست ، فماذا تكون الوجودية إذن ؟

إنها الرجولة والحرية والشجاعة واحتمال المسئولية والصراحة والجرأة ، والاتفاق مع النفس فى السر والعلن ، وبذل الجهد لإصلاح الحياة الراهنة وتطويرها ...

فقل للذين يعيبونها دون فهم ، ويزدرونها دون علم ، ما ضر لو صبرتم حتى تدركوا ما تكتبون ، وتفهموا ما تقولون ؟

الشيخ علي متولي صلاح



نظرات فى اصلاح الريف

تأليف الأستاذ عبد الرزاق الهلالى

للأستاذ على محمد سرطاوى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(١٤٣ صفحة ، مطابع دار الكشاف بيروت — الطبعة الثانية)

والمياه النقية ، لا تزال بعيدة عن (٨٨) قصبة وقرية ، يتراوح عدد السكان فى كل منها من ألف إلى ألفين

وأما التعليم فى الريف فلا يزال فى مراحله الأولى ، إذ تبلغ نسبة الأميين فى العراق اثنين وتسعين فى المائة ، وأكثرهم يعيشون فى الريف

والجهود التى بذلت لنشر التعليم هناك تتضاءل إذا ما قورنت بما يبذل فى سبيل التعليم فى المدن ، ومراكز الأقضية ، ومرد ذلك إلى عدم وجود سياسة تعليمية خاصة بنشر التعليم بين أبناء الريف ، وموقف بعض الشيوخ ، ورؤساء العشائر ، ومقاومتهم رسالة المدرسة والعلم ، لرغبتها الشديدة فى بقاء القديم على قدمه ، وترك الناس فى الريف كالأنعام ، فى ضلالهم يعمهون

يقول بول مونرو فى تقريره عن إصلاح المعارف فى العراق ، (والمشكلة التى تستوجب اهتمامنا هى مشكلة القرية الزراعية . إن منهج المدارس المعمول به فى الوقت الحاضر ، منهج مدنى ، يتضمن ، على الأكثر ، درس اللغات بصورة مشددة ، وهو مالا تحتاج إليه الحياة الريفية ، وليس منهج المدرسة محشوا بإفراط فحسب ، بل إنه لم يؤسس على أسس رشـــيدة ، إذ لا يتلاءم والاحتياجات الريفية ...)

ويعانى معلم القرية فى مشاكل العيش ، مالا يجده أمثاله فى غير الأرياف ؛ فوسائل الراحة مفقودة ، ذلك إلى جانب ما يجده من مقاومة الشيوخ والرؤساء الأقطاعيين ، كتهديد حياته ، ونهب أمواله ، وسرقة أمتعته

والذى يحول بين الفلاح وبين تعليم أبنائه ، اضطراره إلى التنقل من مكان إلى آخر ، جريا وراء الرغيف ، غير مستقر فى مكان ، لأنه لا يملك أرضا يستقر عليها

هنالك فى أرياف العراق (٤٤٩) مدرسة للبنين ، عدد طلابها (٨٢١٢٨) ، وعدد معلميها (١٤٨٩) ، وفى ذلك الريف أيضا مدارس للبنات عددها (٢٤) مدرسة ، وعدد طالباتها (١٤٠٨) ومعلماتها (٧٩) معلمة

وفى المدن العراقية مدارس للبنين والبنات يبلغ عدد طالباتها وطلابها (٧٨١١٨) ، وعدد المعلمات والمعلمين (٣٠٣٠)

ونحن إذا ألقينا نظرة دقيقة على هذه الأرقام ، وجدنا أن مدارس القرى تزيد فى عددها على مدارس المدن بمقدار (٨٢) مدرسة ، ووجدنا طلاب المدن وطالباتها يزيدون على القرى بمقدار (٣٤٤٨٢) ، وأن زيادة عدد المعلمات والمعلمين تبلغ (١٥١٧) أيضا

ونخلص من هذه المقارنة بنتيجة تهز مشاعرنا هزا عنيفا شديدا ، ذلك أننا نجد سبعين فى المائة من سكان يملأون ريف العراق لا يقام لهم وزن ، ولا يحسب لهم حساب فى توزيع عدالة التعليم بين أبناء الشعب ؛ وإنما على النقيض من ذلك يعطى الاهتمام لمن يعيشون فى المدن وعددهم اثنتان وعشرون فى المائة من السكان ، وذلك يستدعى من المسئولين تبديل نظرتهم إلى التعليم الريفى ، وإعطاءه ما يستحق من الاهتمام ، لأن الفلاحين يؤلفون هيكل الأمة العظمى ، ولا حياة لجسد هيكله العظمى غير سليم

والمساكن فى الريف تتألف من بيوت حقيرة صغيرة مبنية من القصب ، أو اللبن أو الطين ، بغير ترتيب ، فهى ضيقة لايدخلها النور والهواء ، يعيش فيها الإنسان جنبا إلى جنب مع الحيوان ، طرقها معوجة تكثر فيها الحفر وأكوام الأوساخ ، والبرك التى تنتشر منها الروائح الكريهة ، وعلى الرغم من سعة الأراضى فى العراق ، فإنها متلاصقة ، دون نظام ، وخالية من

المرافق العامة

وحالة العمال الذين يعيشون في المدن وضواحيها لا يقل في سوئها من الريف. فإن الزائر الذي يزور بغداد، ويعرج على محلة (الشيخ عمر)، و (باب الشيخ) و (العاصمة)، ووراء سدة (ناظم باشا)، وغيرها من الجهات، يؤسفه أشد الأسف أن يرى هذه الألوف العديدة من أبناء البلاد، في هذا الوضع السيئ على الرغم من أنهم يعيشون ضمن حدود أمانة العاصمة وما يصدق على بغداد يصدق على جميع مدن العراق

وحاول المسؤولون تشييد قرى حديثة تتوفر فيها الوسائل الصحية في بيوتها، فصدر عام ١٩٢٦ القانون رقم (٧٠) ولكنه بقي حبرا على ورق، ولو نفذ في حينه، لكان لسكان الأرياف في العراق الآن، قرى صحية نموذجية، تليق بكرامة الإنسان، وتلا ذلك محاولتان فاشلتان في السنتين ١٩٤١ و ١٩٤٩

وهجرة الفلاحين من الأرياف إلى المدن، ظاهرة اجتماعية شديدة الخطر على قطر زراعي كالعراق، وسببها انحطاط مستوى المعيشة، وسوء العلاقة بين الفلاحين والشيوخ، وما يثقل كاهلهم من تبعات وإعمال، ثم ما يشعر به شبانهم من غبن، بعد عودتهم من خدمة العلم، حيث لا يجدون وجها للمقارنة بين حياتهم في القرى وبين حياة الناس في المدن

ولقد ملأ هؤلاء المهاجرون مدينة بغداد، والبصرة، والناصرية، والعمارة، وارتضوا لأنفسهم الحياة في الأكواخ الحقيرة، التي تراها منتشرة في جهات متعددة من بغداد، وفي الفجوات بين قصورها، فتعقدت بهجرتهم مشكلة الفقر في المدن، وازدادت المتاعب الصحية والإدارية، والأمن، لأن الفقر كثيراً ما يدفعهم إلى السرقة، وارتكاب الجرائم؛ ذلك إلى جانب الارتباك الاجتماعي الذي يحدثه وجود جماعات لا يشعرون برابطة نحو أحد، وأثر ذلك الباشر على كثير من التراخي في الضبط الاجتماعي، وظهور المشاكل الإدارية، والأخلاقية والنفسية؛ ويزيد في المشكلة، الفيضان السنوي الذي يدمر في العادة، أكواخ هؤلاء التعساء، ويصيرهم بلا مأوى، هائمين على وجوههم، فيولدون ارتباكا للسلطات الأمن. وقد فشلت الحلول التي تقضي بإعادتهم إلى الأرياف التي هاجروا منها

٭ ٭ ٭

هذه لمحات عابرة، صور فيها المؤلف حقائقها تصويرا رائعا استمده من قلب ينبض بحب الخير المطلق، وهو في هذا التصوير الدقيق، لا يهدف إلى التجريح والإيلام ولكن إلى تشخيص الداء العضال، ليتيح الفرص للمخلصين، فيتقدمون بالعلاج الناجع. وهو في هذا العمل، أشبه ما يكون بالطبيب الحاذق الرحيم، يعد أدواته الجراحية إلى جسم المريض وهي تحمل في أطرافها الحادة، المعاني التي تخفف الألم، وتزيل الأوجاع

والجرأة على تصوير الحقائق المريرة، التي ينفر الناس من النظر إليها، ولا يقوون على مواجهتها، التي هي بطولة لا يتقدم إلى ميدانها الأصيل؛ إلا كل مغامر جريء، لا يخشى الباطل ويقاوم المنكر بأقوى الإيمان

والرياء الاجتماعي، والنفاق الرخيص الخسيس، والشعور بالحقارة، إنما هي العار الذي قد التصق بجيل العبيد الحاضر، فراح الناس في غمرتها يسمون الأسماء بغير مسمياتها، ويسيرون في ركاب الباطل، ولكن بعض النفوس الأبية في بعض شباب هذا الجيل قد تمردت على هذا الهوان، ولم تسر وراء القطيع في طريق الاستعباد

والمعجزة التي تنتظر حدوثها الأرواح الخاملة، لترفع مجتمعنا من الهوان الذي تردى فيه، لن تحدث أبدا؛ ذلك لأن زمن المعجزات قد سار في ركاب الأنبياء. وتوارى في ظلام الزمن البعيد. والمعجزة إنما يجب أن ينبثق نورها من إعاننا العميق بالإصلاح الاجتماعي العاجل، ذلك الإصلاح الذي يملأ المعد الجائعة بالخبز، والأدمغة الفارغة بالعلم الصحيح، والنفوس المستغربة (١) الحقيرة الخاملة بالرجولة، وبمعاني الكرامة القومية

(١) التي تحب الغرب

والعزة الإسلامية ، فتبادر إلى العمل المنتج ، وتشيح بوجوهها عن التبجح الرخيص بعظام الأبطال من البائدين ، ونحن في حقارة القرود بين الأمم المتمدنة

إن الوطنية المدركة ، تتطلب من أفراد الأمة أن يجدوا الحلول العملية السليمة لهذه المشاكل ، وكل تقاعس من ذلك ، يدفعنا موثقين بها ، في تيارات دولية عنيفة ، تتربص بنا ، وتضمر لنا الشر والحقد الدفين

يجب أن تنتقل ملكية الأرض إلى الفلاحين ، وأن تقام لهم المساكن التي تليق بكرامة الإنسان ، وأن تكون العناية بصحتهم ، وغذائهم ، وتعليمهم ، شغل القلوب المخلصة الشاغل التي تستطيع — حتى يتساوى الجميع في عدالة اجتماعية — أن تكفل الطمأنينة لكل مواطن في حدود التبعات والواجبات

والأمة حين تفكر جديا ، في حل هذه المشاكل، لا تبصر غير مصلحة الوطن العليا

ولقد اقترح مؤلف الكتاب حلولا سليمة لكثير من المشاكل التي أثارها ، لو أخذ بها لجعلت الريف جنة وارفة ، وجعلته مصدر قوة رهيبة يحسب لها الأجنبي حسابا يحطم أعصابه ويبتعد عنها إلى حيث ذهبت أم قشعم

ومشروع (الدجيلة) العظيم الذي أتاح الاستقرار لآلاف من الفلاحين في العراق على أرض يملكونها ، وبرهن الفلاحون باستتباب الأمن بينهم ، وخلودهم إلى الاستقرار في بيوت صحية على طمأنينة ووعي عميقين ، إنما هو تباشير الفجر الذي سيعقبه إشراق شمس العدالة ، فلا يبقى سيد وعبد ، وظالم ومظلوم في مواطن العروبة

وقصة الحاج رويس — التي قصها على المؤلف معالي الشيخ علي الشرقي — ذلك المرابي الذي سلف أحد المزارعين مائتي روبية على أساس أن يدفع له الفلاح وزنة من الشعير عن كل روبية. وبمرور الزمن أصبح هذا المبلغ ستين ألف روبية دفع الفلاح المسكين نصفها في حياته وبقي ورثته مدينين بنصفها الباقي ، إنما هي المثال الصارخ على ظلم الفلاحين واستعبادهم

يجب أن ترتبط أجزاء الوطن العربي الكبير ، بنظام اقتصادي ، عميق الجذور ، قوي الأركان ، يستمد كل جزء من أجزائه ، حاجته من أيد عاملة ، أو رؤوس أموال ، أو خبراء ، من الجزء الذي يتوفر فيه ذلك ، فتصان الثروة للشعوب العربية .

وينبغي أن يسبق ذلك أو يتبعه ، تغيير جارف في مناهج التعليم ، لتصبح عملية ، تواجه مطالب الحياة الحديثة بإعداد جيل قوي من المهندسين ، والكيميائيين ، والإخصائيين ، وعلماء الطبيعة والرياضيين والمخترعين. ولقد آن للشبان في هذا الجيل أن يشيحوا بوجوههم عن دراسة اللغات والآداب والتاريخ ، وأن ينصرفوا بشعور وطني عميق إلى التخصص في الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتعدين ، والهندسة والزراعة ، بكل أنواعها ودقائقها وفروعها ، فإننا في حاجة ملحة إليها الآن

° ° °

وبعد فإن الأستاذ عبد الرازق الهلالي ، مؤلف هذا الكتاب ، يستحق الشكر الجزيل ، والتقدير العميق ، على هذا الاتجاه الرشيد في معالجة مشاكلنا الاجتماعية ، ونحن نرجو أن يكون فاتحة خير للشباب ، يخرجهم من عزلتهم ، فيظهرون شجاعة أدبية في التوفر على دراسة المشاكل التي يواجهها الجيل الحاضر ، تلك المشاكل التي تتعذب في جوها أرواح هي أجزاء من أرواحنا ، ونفوس هي نفوسنا ، وما أبشع ذنب الذي يقف على طرف الماء فيرى غريقا ولا يمد يد المساعدة إليه

وأسلوب المؤلف في الكتاب يغلب عليه تكرار الحقائق ، وكأنه يريد أن يبالغ في إظهارها ، ولكنه أسلوب متين ، سلس ، تطل من وراء كلماته حرارة الروح ، ووجيب القلب ، وأنسام العواطف الرقيقة الرحيمة

ورسائل الإعجاب التي ألحقها بالكتاب من بعض أصدقائه ، إنما هي أمور شخصية لا شأن للقراء بها ، وهي كالقذى في العين الجميلة التي تبعث الفتنة إلى القلوب

بغداد دار المعلمات الابتدائية **علي محمد سرطاوي**



جوائز نوبل :

أصدرت اليونيسكو بياناً عن سيرة الفرد نوبل وجوائزه جاء فيها :

نوبل العالم والمخترع قضى معظم حياته في إنتاج أنواع المتفجرات . في عام ١٨٥٤ أخرج أول نوع من الألغام والمتفجرات، وفي ٨٦٢ ابتدأ بصنع النيتروغليسرين والديناميت، وبعد مدة قصيرة اخترع البارود بلا دخان

ولما بلغ نوبل الثالثة والأربعين اتخذ فتاة نمسوية اسمها برث كينسكي كاتبة سر له ولم يلبث أن علق بها وطلبها للزواج ولكنها اعتذرت بكونها خطيبة لمواطن لها يدعى أرثر فون سوتنر وكان من دعاة السلام العالمي

وفي عام ١٨٦٩ أوصى نوبل بريع ثروته التي كانت تقدر بنحو أربعين مليون كرونا أسوجية ليوزع سنويا على الذين يخدمون الإنسانية بعلومهم وأفكارهم . والوصية تحدد الجوائز بخمس: فالجائزة الأولى للكيمياء، والثانية للطبيعيات، والثالثة للطب والرابعة للآداب والخامسة للاخاء البشري والسلام العالمي

ووزعت الجوائز الأول مرة في العاشر من ديسمبر عام ١٩٠١، وبعد أربع سنوات منحت جائزة السلام أتلك الفتاة التي كانت أمينة سر نوبل وغدت تلقب بعدئذ بارونة فون سوتنر لأعمالها السلمية وكتاباتها الداعية إلى الإخاء الإنساني

والجوائز المالية تختلف قيمتها باختلاف دخل مؤسسة نوبل، ففي السنوات الأخيرة كان المعدل نحو مليون و ١٢٠ ألف فرنك لكل جائزة

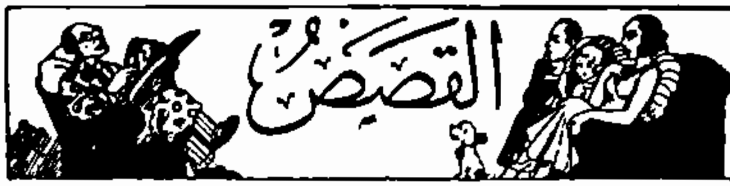
أما ترشيح الأشخاص فتتولاه المؤسسات الرسمية والجامعات والمجامع العلمية ويعرض على هيئة تحكيمية . فجائزة الآداب تحكم بها الأكاديمية الأسوجية ، وجوائز الكيمياء والطبيعيات تمنحها الأكاديمية العلمية الأسوجية ، وجائزة الطب تمنحها معهد كارولينا في استوكهولم ، وجائزة السلام تمنحها لجنة تنتخب من مجلس النواب النرويجي . ولا يخفى أن أسوج ونروج كانتا مملكة واحدة عندما توفي نوبل

وفي عام ١٩٣٥ حظر هتلر على الألمان قبول جوائز نوبل بعد أن منحت جائزة السلام لكارل فون أوسيانزكي الذي اعتقله النازيون . وعلى رغم ذلك فقد منح ريشار كوهن جائزة الكيمياء لعام ١٩٣٨ لأبحاثه في خصائص الفيتامين . وفي العام التالي منح أدولف فردريك جوهن بوتسينتدت الجائزة نفسها لمباحثه في الهرمونات

وفي خلال الحرب الأخيرة حبست جائزة السلام لعدم التئام المجلس النيابي النرويجي بسبب الاحتلال الألماني . وكثيرا ما تختلف الآراء في اللجان التحكيمية فيحول الاختلاف دون منح الجائزة كما جرى في العام الماضي فلم تمنح لأحد الجائزة الأدبية

أما الذين فازوا بجائزة نوبل الأدبية منذ إنشائها حتى اليوم فهم:

١٩٠١ سيلي برودم (فرنسا) ١٩٠٢ تيودور مومسن (ألمانيا) ، ١٩٠٣ بجورنستجرن بجورنسون (نروج) ١٩٠٤ فردريك مسترال (فرنسا) وخوسه اتشاغاري (اسبانيا) ١٩٠٥ هنريك سينكويز (بولونيا) ١٩٠٦ غيوسوه كردوشي (إيطاليا) ١٩٠٧ رديارد كبلنغ (إنكلترا) ١٩٠٨ رودلف أوكن (ألمانيا) ١٩١٠ بول فون هيس (ألمانيا) ١٩١١ موريس مترلنك (بلجيكا) ١٩١٢ مرهرت هوتمن (ألمانيا) ١٩١٣ رابندرانات طاغور (الهند) ١٩١٥ رومان رولان (فرنسا) ، ١٩١٦ فرنر فون هيدنستام (أسوج) ١٩١٧ كارل غلروب (الدانيمرك) وهنريك بونتوبيدان (الدانيمرك) ١٩١٩ كارل سبيتلر (سويسرا) ١٩٢٠ كنويت همسون (نروج) ١٩٢١ أناطول فرانس (فرنسا) ١٩٢٢ خاسينتو بنافنتي (أسبانيا) ١٩٢٣ ولم يتس (إيرلندا) ١٩٢٤ برنارد شو (إنكلترا) ١٩٢٦ غرازيا ديلادا (إيطاليا) ١٩٢٧ هنري برغسون (فرنسا) ١٩٢٨ سيغريد أوندست (أسوج) ١٩٢٩ توماس مان (ألمانيا) ١٩٣٠ سانكلير لاوس (الولايات المتحدة) ١٩٣١ أريك كارفلت (أسوج) ١٩٣٢ دجون غلاسورثي (إنكلترا) ١٩٣٣ إيفان بونين (روسيا) ١٩٣٤ لويجي بيراندللو (إيطاليا) ١٩٣٦ أوجين أونيل (الولايات المتحدة) ١٩٣٧ روجه مرتين دي غارد (فرنسا) ١٩٣٨ بيرك بوك (الولايات المتحدة) ١٩٣٩ فرانز أميل سيلانبا (فنلنديا) ١٩٤٤ جوهانس جنسن (الدانيمرك) ١٩٤٥ غبريالا ميسترال (شيلي) ١٩٤٦ هرمن هس (سويسرا) ١٩٤٧ أندره جيد (فرنسا) ١٩٤٨ ت . اليوت (إنكلترا)



قصة واقعية:

من الأعمـــــاق

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إلى الأستاذ المداوى ، وكل من فى حياته قصة وفى أعماقه حب قديم وفى قلبه أشجان ، أهدى قصتى . ع . ع

صديق ...

إنك أعرف الناس بمقدار حرصى على الإبقاء لهذه الذكرى طى الكتمان فى أعماق القلب الذى حملها سنوات؛ وما تثيره هذه الذكرى فى نفسى من آلام وأشجان تذهب بهناءتى أياما بل شهورا لأنها تذكرنى بجريمة ارتكبتها جنيت فيها على قلب كبير، وتصور لى نفسى مذنبة آثمة ، فيهب ضميرى من رقاده فلا يزال وخزه كالحراب حتى يقيض الله لى من ينسينى هذه الذكرى بعض الوقت

ألست أنت الذى حاول مرارا أن ينتزع منى هذا السر الذى احتفظت به لنفسى وضننت به على أقرب الناس إلى وإليها ، فهل تظن أن البعد الذى بيننا يحل عقدة لسانى فأقص عليك قصتى التى من أجلها هجرت بلدى إلى غير رجعة ، وأفضى إليك بذات نفسى فأطلعك على جرح قلبى الدامى الذى تحمله الذكرى بين كأول عهده ؟

إن هذا الجرح هو الذى حال بينى وبين مشاركة الناس التمتع بهذا الجمال الذى وهبه الله عبـــاده . إنى لا آتى عن هذه الصحائف لأخط عليهـــا ما عجز عن انتزاعه الآخرون ولـكن ... لا ! محال أن أبوح لك . لقد كثر إلحافك بعد أن افترقنا وأنا أريد أن أسكت هذا اللسان الذى يطاردنى فى حضوره وغيبته مهما بعدت بينى وبينه المسافات ، وكأنك تتعمد إيلامى لأفضى لك بسرى . وماذا على لو أخبرتك خبرها ؟ وأنا الهموم لا أخاف قالة السوء ولا أخشى أن يزاحمنى عليها أحد

كان ذلك منذ أعوام سبعة يوم كنت معى والتقينا بصديقنا (م) بعد عودته من الغيبة التى طال أجلها بيننا، ثم التقيت به مرات ولم تكن أنت معنا . ودعانى يوما لزيارته فلبيت دعوته ولا أدرى لم دعانى وقد مضت سنوات على صداقتنا ولم يدع أحدنا الآخر إلى منزله ؟ ولا لماذا خرجت أنا عن مألوف عادتى فلبيت دعوته ؟ ذهبت فراعنى منزلهم الجميل ورياشه الفاخر وتلك الحديقة الزاهرة التى تحيط به

ولما استقر بى المقام جاءت شقيقته (ن) وهى إذ ذاك فى الثالثة عشرة من سنى حياتها ، وهى طالبـة فى المدرسة وقدمنى إليها قائلا : (أستاذك الذى سيقوم بإعطائك دروس اللغة العربية) وأخذت بهذه المفاجأة إذ كنت أتحاشى دائما هذا النوع من الدروس مهما كانت سن الفتاة . بيد أن الموقف ألجم لسانى وصداقتنا حالت بينى وبين الاعـتراض ، كل ذلك كان سهلا بجانب نظرتها إلى ، نظرة فيها كل أنواع البراءة والدلال ؛ فوجدتنى أؤمن على قوله بغير شعور منى

ومدت يدها الصغيرة تصافحنى وعلى ثغرها ابتسامة جميلة خالية من أنواع المخاتلة والرياء ؛ لأنها بسمة تكسوها براءة الطفولة ؛ إذ كانت إلى هذه السن لا تزال طفلة فى كل أعمالها . فإذا قدرت سنى حياتها عند رؤيتها ما زدتها على عشر سنوات لضمور جسمها ووداعة خلقها وتعثر كلماتها فى النطق

وحددنا موعد الدرس ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى منـزل صديق ، أو بالأحرى تلميذتى ، فوجدتها فى حجرتها الخاصة تنتظرنى فقضينا بعض الساعة فى ترتيب وتنظيم ، واتفقنا على الخطة التى تناسبها

صرت بعد ذلك أذهب إليها فى الموعد المحـدد . وعلى مر الأيام زال ما بها من تلعثم ، وكنت أرى منها غبطة وسرورا كلما رأتنى قادما ، فقد كانت تنتظرنى فى نافذة حجرتها المطلة على الحديقة فإذا رأتنى هبت تتلقانى بباب حجرتها . وبدأت ألحظ عليها أنها تبذل جهداً كبيراً لتعوقنى عن الخروج وتحتال لذلك الحيل ، وأكثرها توجيه أسئلة كنت أجدنى مضطرا للاجابة عنها لأنى كنت أخشى أن تظن بى العجز . وكم من مرة أضاعت على فرصا كنت أنتظرها

بفارغ صبر . مر العام على خير وجوهه . وكانت أولى المتقدمات من زميلاتها وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة أخرى

وظننت أن مهمتي قد انتهت؟ فانقطعت عنها ، وماذا بقي علي؟ لقد أديت واجبي وقمت بما تقتضيه الصداقة

وبعد أيام من انقطاعي وكنت جالساً في حجرتي غارقاً بين أوراقي ، إذ طرق الباب طارق ، فلما أذنت له بالدخول وكنت أحسبه خادمي فلم أهتم بالأمر . ولما رفعت وجهي لأسأله ماذا يريد؟ رأيت أمامي صديقي (م) وتلميذتي فأخذت بهذه المفاجأة؟ ومددت يدي مسلماً معتذراً. فلما تقدمت أسلم عليها مدت يدها وهي تصنع الغضب ولكنها لم تستطع أن تخفي تلك الابتسامة الحلوة التي عودتني إياها كلما لقيتها

جلسنا في غرفتي، وكلما نظرت إليها ازدادت شفتاها انفراجاً، ولكنها سرعان ما كانت تستردها لتظهر بمظهر الغاضبة . ثم انفرجت شفتاها لا عن ابتسامة ولكن عن عتاب جميل لتقصيري عن زيارتهم بعد انتهاء العام الدراسي . ولقد كانت في إلقاء الأسئلة وتضييق الحلقة ماهرة كأنها نائب يحقق في حادثة يريد أن يصل إلى الجاني، وكلما هربت من طريق جاءتني من آخر. وقدمت لها من المعاذير مالا يحصى ولكنها لم تقبل منها واحداً وكانت كلما ألقيت إليها عذراً رأيتها تهز ذلك الرأس الصغير علامة عدم الارتياح، ولم تتركني حتى قطعت على نفسي عهداً باستئناف زيارتهم مرة أخرى وسيكون ذلك بعد غد . ذهبت إلى منزلها فإذا بي أفاجأ باستعداد لحفل . وتلقتني باسمة الثغر طلقة المحيا عليها سيماء من تجاوزن سنها ، وكان حفلاً تزينه زهرات لم تتفتح مثلها وما زالت قلوبهن في الأكمام. وتم عقد المدعوين ووقفت تقول كلمة صغيرة كما قالت فإذا هي تبدع وتجيد ، وفي نهاية كلمتها قدمتني للمدعوين على أن أتكلم كلمة فلم أسر لاقتراحها قدر ما سرتني كلمتها التي أشادت فيها بما بذلت معها من مجهود أهلها لهذا التقدم؟ فكدت أعتذر لولا نظرتها إلي وما رأيته من عيون متجهة إلى شخصي

وقدمت لنا بعض زميلاتها أغنيات ورقصات أضفت على الحفل عنصر البهجة والسرور

وكانت جلستي بجانب فتاة وسيمة الوجه طلقة المحيا ذات شعر فاحم وقوام أهيف . . وعلى غير قصد مني لمست يدي ذراعها العاري فسرت رعشة غريبة في يدي فاضطربت ولحظت فتاتي ذلك إذ كانت نظراتها لا تفارقني ؛ فأسرعت تقدمها إلي ، فإذا هي ابنة عمها قد أتمت دراستها الجامعية هذا العام ، وحادثتني حديثاً شهيا خلب لبي واستولى على مشاعري ولم ينته الحفل حتى كنا على موعد للقاء في اليوم التالي. وتكرر لقاؤنا فازددت بها شغفاً وهمت بها حبا ، وترامت الأخبار إلى تلميذتي بملاقتي بابنة عمها ، فكنت كلما زرتها شاهدت على وجهها مسحة من الهم والألم ، وكانت تتعمد ذكر ابنة عمها أمامي وتنظر إلي أثناء ذلك نظرات لم أعرف مغزاها إلا بعد فوات الأوان

وصحبتها يوماً إلى السينما وكنت على موعد مع ابنة عمها فاختارت المقعد الأوسط لتجلس بيننا فنفذت رغبتها ولكن فعلها آلم ابنة عمها ؛ فعتبت على مصاحبتي لهذه الصغيرة وإذعاني لرغبتها ، فقد كانت كل منهما تتربص بالأخرى ولكنها تتحاشى لقاءها ، عرفت حبيبتي أن ابنة عمها تحبني ولكنها لم تذكر لي شيئاً عن ذلك

وهالني ما طرأ على تلميذتي من تغير ملحوظ فأصبحت تؤثر الوحدة وتتحاشى الناس . وتجلس معي صامتة واجمة، وبدأت عيناها تذبلان ونظراتها تنكسر ؛ فحاولت أن أعرف سر ذلك منها فلم أفلح . وكانت كلما خرجت معي بمفردها — لأنها كانت ترفض دعوتي إذا علمت أن ابنة عمها سترافقنا — تسر لذلك ويذهب عنها بعض حزنها ، وصارت لا تذكر غريمتها أمامي كما كانت تفعل قبل اليوم

وذهبت لأطلب يد ابنة عمها ! فلما تم كل شيء بعث من يعلن الخبر في بيتها وكانت ترى من وراء ذلك إلى غرض في نفسها . ولما ذهبت في اليوم التالي إلى صديقي اذ كنا على اتفاق لنذهب الى إحدى الحفلات ، لم أجد تلميذتي تنتظرني كما هو مألوف . وهنأني الجميع ولكنها لم تحضر ، فسألت عنها فعجب الجميع لغيابها ، وبحثوا عنها حتى وجدوها ، فلما جاءت رأيتها قد انكمشت في نفسها .

وسألتها عن عدم استعدادها للذهاب معنا فاعتذرت بتعب تحسه . وحاولت كثيراً فلم توافق . وفي اليوم التالي علمت بأنها مريضة فزرتها وواظبت على زيارتها كل يوم ، غير أن حالها كان يسير من سيء إلى أسوأ . وكانت تسرع خطواتها الى العالم الآخر فأسف على البيت الحزن والكآبة . وفي أحد الأيام ذهبت لعيادتها فانتهزت فرصة خلو حجرتها من الآخرين وسلمتني

غلافا. فلما هممت بفضه أشارت الى إشارة فهمت منها أنها لا ترغب في ذلك. ولما صرت خارج الدار فضضت الغلاف فوجدت صورتها بين أوراقه وتصفحت كتابها فإذا فيه ...

(حبيبي لقد أحببتك وأنت لا تدري، وإن كنت قد بادلتني هذا الحب ، غير أنك كنت تستخف به لأنه في نظرك حب طفلة وما دريت أن لهذه الطفلة قلبا . .

(وكم ندمت على أني كنت سبباً في تعرفك بتلك التي سلبتك مني واستولت عليك من دوني ، وكثيراً ما حدثتني نفسي أن أسحقها كما سحقت قلبي وأحطم حياتها كما حطمت حياتي . ولكني كنت أخشى أن يكدر فعلي هذا صفو حياتك ويسبب لك الشقاء والآلام .

(لقد كان أسعد يوم في حياتك هو أشقى أيام حياتي ، فبينما أنت تنعم بقرب حبيبتك وقد فاضت منك كأس السعادة . كنت أنا أقاسي آلاما تهد الجبال وأتجرع كأس الخيبة والحرمان غارقة في حمى الحب الذي حطم أعصابي . بينما أنت تضحك ملء فمك ، كنت أنا أبكي مصير حبي وأندب ذكرياتي الجميلة وأشيع آمالي الواسعة ، في حجرتي المظلمة التي تذكرني كل قطعة فيها بحبي ، وبأنك كنت في يوم من الأيام لي وحدي ، فكم نعمت فيها بالجلوس إليك لا يشاركني فيك أحد . في هذه الحجرة رحت أشكو منك وكنت قبل اليوم أشكو لك . في هذه الحجرة سعدت بأحلامي الجميلة واليوم أذرف فيها الدمع على أطلال سعادتي الذاهبة .

(لقد هممت كثيراً بأن أكتب إليك بما ألاقي ، ولكن كان الوقت قد مضى والفرصة ضاعت . وهل كنت تصغي لكلماتي وأنا في نظرك لا أعدو طفلتك الصغيرة ؟

(أتذكر يوم لقيتني في حجرتي منفردة أضع رأسي بين يدي وعلامات الألم تبدو على وجهي فقلت لي: لقد كبرت وغدوت تفكرين كما يفكر الكبار . ثم جلست تربت على كتفي وتمسح بيدك شعري ، وأنت تسألني عن سبب همي ، فكدت أجثو على ركبتي وأفتح قلبي بين يديك وأريق أمامك كل ما كنت أكتمه من الحنان وما يكربني من الحب ، ويملأ قلبي من العواطف .

(لقد أصبح كل شيء في هذا الوجود مصدره عذابي فكرهت كل شيء وأحسست بالبغض لهذا العالم ومن فيه فلم أعد أطيق رؤية أحد .

(لقد كان حبي لك كبيرا وكانت خيبته أكبر . فلم أقدر على تحمل ثقلهما. فإذا طواني الموت فابك ياحبيبي على حبي لك لأنه سبيلي ولأنه قد توسد الثرى وكان يحلم بتوسد ذراعك ولأنه ضمه القبر وكان الواجب أن تضمه في أحضانك ، ولفه الكفن وكان حقيقا أن يلفه وإياك فراش واحد ، واحتوته صحراء مقفرة وكانت أمنيته أن يحتويه عش تكون أنت سيده .

(إن تعلق بالحياة لا لأن نفسي عزيزة علي ولكن للحب الذي تكنه لك. فإذا مت فلا تبك علي لأن بكاءك يؤلمني..ولا تحزن فإن حزنك يشقيني.. ولكن اذكرني كلما خلوت إلى نفسك) .

في هذا الأسلوب الذي لا غموض فيه ولا تكلف فيه كتبت إلى خطابها وهو خطاب طويل ، فما انتهيت من قراءته حتى أحسست الدمع يتساقط من عيني ، وأن الأرض تدور بي ، ولم أعرف أين أنا سائر ، وكدت أعود لأضمها بين ذراعي وأغمر وجهها بالقبل لأخفف عنها وطأة آلامها ولكني لم أستطع إذ كانت قواي قد خارت ونفسي قد تضعضعت فجلست على أقرب مقهى وجدته ، وما شعرت إلا والنادل ينبهني إلى موعد الانتهاء من سهرته. فقمت أهيم على وجهي طيلة الليل وأنا حائر ماذا أفعل وقد قطعت مع عمها وعدا بالزواج من ابنته . لو كان الحب فقط الذي أكنه لابنة عمها لكتمت أنفاسه وتخلصت منه..لكن كيف أتخلص من وعدي وبماذا لأعود إلى تلك التي أحبتني في صمت وتعذبت في سبيلي كل هذا العذاب وأنا سادر عنها غافل من أشجانها وآلامها ، فذبلت كما تذبل الزهرة قبل تفتحها لأنها حرمت الساق الذي يتعهدها

وفي اليوم التالي بكرت في الصباح وقد بيت في نفسي أمرا . وقبل أن أصل إلى الدار صكت أذني أصوات النساء يندبنها. فلما ولجت الباب رأيت خادمها حزينا . فلما سألته أخبرني أن شريانا قد انفجر منها إثر صدمة نفسية لم تستطع لها احتمالاً . هكذا قال الطبيب . يا رحمتاه لها

فعلمت أني قد قتلتها وأنا عنها غافل

وبعد أسبوع كنت أستقل القطار مبتعدا عن معهد ذكرياتي المؤلمة ؛ ولكنها ما زالت تطاردني كلما وقعت عيني على صورتها التي لا تفارقني

عبد الموجود عبد الحافظ